محمد الكيلاني

التّروتسكيّة والتّروتسكيّون في تونس



التّروتسكيّة والتّروتسكيّون في تونس

محمّد الكيلاني

الطبعة الأولى ماي 1989
في 3000 نسخة

تقديـــم

لم تعرف الحركة الشيوعية في بلادنا التروتسكية على صورتها الأصلية الاّ في الأيام الأخيرة مع ظهور مجموعة «الشيوعيين الثوريين» (مجموعة نصيرة للأممية الرابعة التروتسكية).

وكانت سبقتها محاولات للتّشكّل في أواخر الخمسينات مع مجموعة «كفاح» وهي انشقاق عن الحزب «الشيوعي» التونسي. ومنذ أواخر الستينات ومطلع السبعينات بدأت مجموعة من الشباب الطلابي تروّج بعض منشورات «الأمميّة الرابعة» بصورة محدودة. لكن مجموع هذه المحاولات باءت بالفشل. بينما ظهرت التروتسكية وشاعت في صورة غير نقيّة مع منظمة «آفاق ـ العامل التونسي». وكنت قدّمت تقييما شاملا لمقولاتها في «الحركة الشيوعية في تونس 1920 ـ 1985 : محاولة تقييمية».

ويعود تشكّل «الشيوعيون الثوريون» في تنظيم سياسي الى مطلع الثمانينات بعد عودة بعض الرموز من المهجر والتحاق بعض العناصر الطلابيّة ذات الميولات التروتسكية بهم وكان أول ظهور لهم عن طريق نشرية «ماالعمل ؟» في الحركة الطلابية أو عن طريق بعض المقالات الصحفية، وكانوا يوقعون تارة باسم «الماركسيين الثوريين» وأخرى باسم «الشيوعيين الثوريين». ولما تحصّل «التجمّع الاشتراكي» على نوع من القانونية، انضموا اليه وشاركوا في «الموقف». ثمّ انسحبوا بعد مدّة معلّلين ذلك باكتشافهم يمينية نجيب الشّابي وجماعته. ومنذ انسحابهم تشكّلوا في مجموعة خاصّة بهم (الشيوعيون الثوريون) أصبحت تصدر نشرية «الشرارة» وتروّج في نفس الوقت مجلّة «المطرقة» التي تشارك في اصدارها الى جانب «التجمّع الشيوعي الثوري» من لبنان، و«العصبة الشيوعية الثورية» (ماتسبان) من اسرائيل.

ولم تعمّر وحدة المجموعة طويلا اذ انقسمت الى فريقين:

الأوّل حافظ على اسم التنظيم الأم وجريدته والثاني سمى نفسه «الشيوعيون الثوريون خط القطيعة» وأصدر نشريّة «طريق الشرارة».

وحصل هذا الانقسام ابتداء من العدد الثامن «للشرارة».ومنذ الأيام الأولى التي بدأت فيها التفكير في الردّ على مقولات الجماعة لمست الحاجة الأكيدة الى ضرورة التعريف بحقيقة مرجعهم النظري «التروتسكية» وبسيرة واضع هذه النظرية:تروتسكي. لذلك قسمت هذا العمل الى قسمين:

الأول يخص تروتسكي والتروتسكية والثاني يعنى بجماعة «الشرارة».

الجزء الأول

تروتسكي، التروتسكية

I ـ تروتسكي ذو الوجوه المتعدّدة أو «يهوذا الثورة».

يعود ظهور تروتسكي على الساحة الروسية الى السنوات الأخيرة من القرن الماضي وقد التحق «بالإسكريين» فيما بين 1901 و1903 وتعرّف على لينين شخصيًا بلندن سنة 1902. وفي المؤتمر الثاني لحزب العمّال الاشتراكي الديمقراطي الروسي المنعقد بلندن سنة 1903، اختار الوقوف الى جانب المناشفة في الخلافات العميقة التي قابلتهم بالبلاشفة حول البند الأول من النظام الداخلي للحزب. وأصبح في ذلك الوقت منشفيا متحمّسا. ونظم مع مارتوف ندوة للأقليّة في سبتمبر 1903 «لبحث الطرق الكفيلة بمقاومة قرارات المؤتمر وعرقلة تطبيقها».

وفي سنوات النهوض الثوري 1904 ـ 1905 ابتعد شيئا ما عن المناشفة وبقي متردّدا مرة يقترب من «الاقتصادوي» مارتينوف، وأخرى ينادي «بالثورة الدائمة» هذه النظرية التي اقتبسها عن الماركسي الألماني المزيف بارفوس. وهي نظرية يساريّة متطرّفة ومغامرة تدعو الى القيام مباشرة بالثورة الاشتراكية في روسيا أي بحرق مراحل الثورة، وتنفي أهميّة التحالف بين العمّال والفلاحين في إحراز النصر النهائي.

ثم عاد تروتسكي ليقترب بعض الشيء من البلاشفة سنتي 1906 ـ 1907. وفي ربيع 1907 أعلن تضامنه مع روزا لوكسمبورغ النصف منشفيّة وقتها [1].

---

(1) ضدّ الانتهازية اليمينية واليسارية والترتسكية، دار التقدم موسكو 1986 ص 409 ص 248

وفي فترة التفكّك كما يعرّفها لينين، أي بعد انهزام ثورة 1905، وقت استعادت الرجعية تحكّمها في الأوضاع وبعد تقلّبات عديدة وطويلة انحرف تروتسكي مجدّدا الى اليمين وفي 1912 انضمّ الى كتلة «أوت» وكان أحد منظمي الندوة التي انبثقت عنها. وتألفت هذه الكتلة من مجموعات وفرق انقسامية يجمع بينها شيء واحد وهو معاداة الحزب. وتخلّى تروتسكي بالمناسبة عن برنامج الحزب وعن النضال في سبيل الجمهورية ويوم عمل بـ 8 ساعات، وفي سبيل انتزاع أراضي الملاك العقاريين الكبار.

لم يمض على تكوّن هذه الكتلة عام ونصف، حتى ظهرت علامات تفكّكها حين أعلن تروتسكي في فيفري 1914 عن بعث جريدة «غير كتلويّة» وضع لها هدف توحيد الحزب (كذا !!). ويكون بذلك أعلن عن انتهاء كتلة «أوت». وعاود التلويح بشعار الوحدة مع من؟ مع التصفويين والمناشفة والاقتصادويين والتروتسكيين بالطبع.

واحتل تروتسكي موقعا توفيقيا من الحرب العالمية الأولى حين رفع شعار «لا انتصار، لا هزيمة» مردّدا شعار الزعماء الانتهازيين كاوتسكي وغيره من الوسطيين في الأممية الثانية. يقول لينين عن رافعي هذا الشعار: «إن كل من يساند شعار: «لا انتصار، لا هزيمة» هو شوفيني واعي أو غير واعي، وفي أحسن الحالات فهو بورجوازي صغير توفيقي، لكنّه في كلّ الحالات عدوّ للسياسة البروليتارية ومناصر للحكومات والطبقات الحاكمة الحاليّة»[2]. لقد جرّت الثورة معها بقوّة منطقها عناصر غير ثابتة وضعت على رؤوسهم أكاليل النّصر فظهروا وكأنّهم زعماء لها. لكنّهم سرعان ما بدأوا بالتراجع وتحوّلوا شيئا فشيئا الى معرقل حين انتهت فترة المدّ وبدأت الصعوبات. وتروتسكي أحسن ممثل لهذا الصنف من الناس.

إنّه لم ينتم للحزب البلشفي الاّ في مؤتمره السادس المنعقد في بتروغراد فيما بين 3 و16 أوت 1917 بعد أن أعلن تخلّيه عن نظرياته الخرقاء. وفي الأيام الحاسمة من أكتوبر وقت كان زينوفياف وكاميناف يتصرّفان «كمخرّبي إضرابات» وكعملاء للبورجوازية حين أفشيا موعد الانتفاضة، كان «يهوذا الصغير» ـ حسب تعبير لينين ـ يحاول تأجيلها الى مؤتمر السوفيات الذي يعود له حسب ادعائه حقّ اتخاذ القرار في شأنها. وهذا يعني ترك الفرصة للعدوّ كي يعيد تنظيم صفوفه على الطبقة العاملة وتهبيط معنويات الجماهير من كثرة الترقّب، ويفرّط بالتالي في امكانية إنجاح الثورة. يقول لينين بهذا الصدد:

---

(2) و (3) ترتسكي والترتسكية (نصوص ووثائق)، نورمان بيتوين ص 48 ـ 49، الترجمة لنا.

(*) عقدت معاهدة صلح بين الاتحاد السوفياتي والمانيا ومن ورائها حلفاؤها النمسا والمجر، تركيا بلغاريا، في براست ـ ليتوفسك في 3 مارس 1918 وألغى الاتحاد السوفياتي هذه المعاهدة في 13 نوفمبر 1918.

«نترك الفرصة الراهنة تمرّ و«نترقّب» مؤتمر السوفيات، هذه بلاهة تامّة أو خيانة تامّة».

ولمّا اتخذت اللجنة المركزية (اللج. الم) للحزب قرار الانتفاضة ولم ينجح تروتسكي في تأجيلها أفشى هو الآخر القرار، كما فعل زينوفياف وكاميناف من قبله، في مؤتمر فرع الحزب بموسكو ـ كان المؤتمر علنيا ـ ممّا اضطر الحزب الى تقديم موعد الانتفاضة بـ 24 ساعة فكانت مظفّرة وأزاحت الطبقات الحاكمة القديمة ورفعت البروليتاريا الى السلطة السياسية. ومع ذلك ظل تروتسكي متردّدا وأخفى نظرياته ومواقعه ليعيد لها الحياة في الوقت المناسب. ولم يكن مؤمنا بالثورة ولا بسيرها ومصيرها، جرّته معها الى حين، وسرعان ما عاد الى تردّده القديم ومعاداته القديمة للبلشفيّة وللينينيّة وذلك عندما ظهرت الصعوبات الأولى والتعقيدات في الأوضاع أمام السلطة السوفياتية الفتيّة، ولاحت المنعطفات الهامة في مسيرتها والمواقف الحاسمة التي عليها اتخاذها بعيدا عن الرومنسية الثورية وأضغاث أحلام المثقفين السّابحين في عالم النظريات المجرّدة والغارقة في المثاليّة.

في مثل هذه الأوضاع كانت الكتلة المعادية للحزب، المؤلفة من «الشيوعيين اليساريين» و«المعارضة العمالية» والمناشفة المتسلّلين والزينوفيفيين والبوخاريين وتروتسكي وأتباعه الذين حاولوا البقاء لفترة من الزمن خارج «الكتل»، كانت تعمل من أجل عرقلة تطوير السيرورة الثورية وتخريبها من الداخل وكان تروتسكي أحد وجوهها البارزين. وتحوّل تروتسكي منذ مطلع العشرينات الى منظّر ومنظم لكل الشيع المعادية للاشتراكية وللحزب البلشفي.

غالبا ما تكشف الظروف الصعبة التي تمرّ بها الثورة عن العناصر غير الثابتة، تلك التي لم تتمكّن من استيعاب الماركسية اللينينيّة (الم. ل) على الوجه الصحيح، وتلك التي تنقصها الصلابة السياسية والتي يربكها بسهولة ضغط البورجوازية وهي غالبا ما تقبل بالانضباط الحزبي لفظا لكنّها تخرقه في كل مناسبة لتمرّر وجهة نظرها المغامرية أو الانهزاميّة، تغلّفها بجلبة من الشعارات «الثورية» وتشكّك في نفس الوقت في سلامة السياسة البروليتارية.

كانت أوّل وأهمّ مسألة حادّة اعترضت ثورة أكتوبر هي مسألة معاهدة براست ليتوفسك (*) التي كان يتوقّف عليها بقاء أو عدم بقاء الجمهورية السوفياتية ذاته، وانعكاسات ذلك على الثورة العالمية. وبعد نقاشات مضنية توصّلت اللجنة المركزية للحزب البلشفي الى موقف موحّد (بالأغلبيّة) بدفع من لينين وستالين، الى ضرورة عقد معاهدة مع ألمانيا وحلفائها في أسرع وقت. فشنّ «الشيوعيون اليساريون» بقيادة بوخارين وبياتاكوف حربا ضدّ المعاهدة واعتبروها خيانة في حق الوطن والثورة وطالبوا من الجمهورية السوفياتية ان

تشن حربا ثورية ضد ألمانيا لمساعدة الثورة الألمانية و«إعطاء دفع» للثورة العالمية.

وقف تروتسكي كعادته موقفا «توفيقيّا» في الظاهر «لا حرب لا سلم» لكنّه في الواقع كان يبث البلبلة في صفوف الطبقة العاملة ويعطي للأمبريالية الألمانية مبرّرات مواصلة هجومها على الجمهورية السوفياتية الفتية واحتلال مناطق وأراضي أخرى. وأثناء المباحثات تعمد تروتسكي خرق توصيات اللجنة المركزيّة وتعليماتها ورفض التوقيع على معاهدة السّلم وأعلن أنّ روسيا السوفياتيّة لن توقّع على المعاهدة، بل توقف الحرب وتسرّح الجيش. الأمر الذي شجع الألمان على مواصلة الحرب. وكلّف الشعوب السوفياتية خسائر كبيرة وأجبر السلطة السوفياتية على عقد اتفاقية سلم في غير صالحها أكثر من ذي قبل.

واصل تروتسكي على نفس المسلك في الحرب الأهليّة فأجبر الحزب البلشفي أن يتصدّى المرار العديدة لمخطّطاته الانهزامية. ولم يتمكّن الجيش الأحمر من هزم كولتشاك الاّ برفض مخطّط تروتسكي الداعي الى إيقاف الهجوم وأقرّت اللجنة المركزية للحزب البلشفي مواصلته حتى إبادة جيوش كولتشاك وعيّنت ستالين لقيادة العمليات. وكذلك الامر لدينكين فقد وافقت اللجنة المركزية على مخطّط ستالين الذي عينته بدل تروتسكي في قيادة العمليات على كامل الجبهة.

وبهذه الصورة فحسب تمّ القضاء على كولتشاك ودينكين وسائر الحرس الأبيض، وتمكنت السلطة السوفياتية من تأمين الوضع الداخلي نهائيا بعد أن أمّنت حدودها واسترجعت أراضيها من الغزاة الألمان.

واجهت السلطة السوفياتية في مطلع العشرينات وضعا اقتصاديا واجتماعيا صعبا خلّفته الحرب العالمية والعدوان الامبريالي والحرب الأهليّة. كان المرور من سياسة «شيوعيّة الحرب» الى «السياسة الاقتصادية الجديدة» عسيرا. وكانت في تلك الظروف وحدة الحزب وتعزيز دكتاتورية البروليتاريا وتوطيد تحالف العمّال والفلاحين، المسألة المركزية التي تشغل بال الحزب وقيادته. لكن تروتسكي وجد فرصته لفرض نقاش عام حول النقابات واقترح تحويلها الى مجرّد تابع للدولة وجزء من جهازها، نافيا بذلك الدور الذي أوكلته لها الماركسية اللينينية حين اعتبرتها مدرسة للشيوعية، ومتراجعا جهرة عن مبدأ أساسي من مبادىء دكتاتورية البروليتاريا. يقول لينين أن سياسة تروتسكي الداعية الى «دولنة» النقابات و«هزّها» تؤدي الى قطيعة لا مناص منها بين الحزب والنقابات وبين هذه والجماهير العماليّة، و«هذا يعني بالتأكيد هلاك السلطة السوفياتية».

وبعد أن هزم في المناقشة العامّة الأولى وعندما كان الاتحاد السوفياتي يواجه مصاعب اقتصادية متأتية من اتساع الهوّة بين الأسعار الصناعية والفلاحية ممّا أثار تململ الفلاحين،

وعندما كان الحزب أيضا مجنّدا في سبيل صيانة تحالف العمال والفلاحين وذلك باتخاذ الاجراءات الاقتصادية اللازمة لمعالجة هذا الوضع الشائك، وفي وقت اشتدّ المرض بلينين شنّ تروتسكي في أواخر أوت 1923 هجوما على قادة الحزب الثابتين وهيئاته العليا وأعلن أن «الحزب يحتضر. . .» و«يعاني أزمة حادّة» و«هو بصدد التبقرط» وفرض مناقشة عامّة حول «الديمقراطية داخل الحزب» وحول «أجهزته وهيئاته» وحول «صراع الأجيال داخله» وحول مسألة «ارتداد الفلاحين». كتب وثيقة في اكتوبر 1923 موجهة للحزب يعلن فيها أن اللجنة المركزية تسير بالبلاد نحو الخسران المحتّم. وبعد ذلك بقليل قدّم وجماعته سميرنوف وبريوبرا جينسكي وبياتاكوف وغيرهم «أرضية الـ 46» موجهة ضدّ خط الحزب وقادته ولم تستثن لينين الذي كان على فراش الموت.

ومنيت محاولته هذه أيضا بفشل ذريع وانكشفت مواقفه للحزب وللطبقة العاملة على أنّه يهدف الى زعزعة وحدة الحزب وتخريب تحالف العمّال والفلاحين من خلال معارضته لسياسة الأسعار والإصلاح المالي الذي أقدمت عليه السلطة السوفياتية. وصب جام غضبه وحقده على الفلاحين الذين «ارتدوا» عن الثورة حسب زعمه.

كما يهدف شلّ مجهود الحزب في تعزيز دوره القيادي في عملية البناء الاشتراكي وتعويضه أحيانا بالدور «الانتاجي» للنقابات وأحيانا أخرى بجهاز الدولة. وفي نفس الوقت دعا الى حق الكتل والمجموعات في الوجود داخل الحزب على أساس أرضيتها الخاصة.

أظهرت النقاشات العامة التي فرضها مجدّدا على الحزب في 1924 حول مسألة البناء الاشتراكي، الهوّة التي تفصل اللينينية عن التروتسكية، وتروتسكي عن الحزب البلشفي. لقد افتتح حملته الجديدة بمقال تحت عنوان «دروس ثورة اكتوبر» تنكّر فيه للقوى التي كانت المحرّك للثورة الروسية في مختلف مراحلها. وعارض تقييم لينين والبلاشفة لثورة أكتوبر ودروسها وأحيى نظرية «الثورة الدائمة» التي أكّدت الأحداث بشكل عملي في الثورات الروسية الثلاث خطأها. وحاول تمرير كذبته على ان البلشفيّة أعادت قبيل الثورة «تسليح نفسها ايديولوجيا بتبنيها لنظرية الثورة الدائمة». تشويه لثورة أكتوبر وتنكّر فجّ للدور الذي لعبه فيها الحزب البلشفي ولجنته المركزية وعلى رأسها لينين، وسطو على الثورة لفائدة التروتسكية وفبركة تاريخ مجيد لها.

ولمّا هزم وانكشف أمره «أقسم» بكل «الايمان الغليظة» أنّه سوف ينضبط مستقبلا لقرارات الحزب وأن لا يعود لاثارة النقاشات الملهية خوفا من طرده، ومحاولة منه لحماية أتباعه في انتظار أيام «أفضل».

وبعد مدّة وجيزة عن هزيمته في مناقشة 1924 وجد الحزب نفسه مجبرا على مواجهته

رابعة. لكنه هذه المرة ترك لزينوفياف وكاميناف «شرف» بدء الهجوم على اللجنة المركزية للحزب وكان ذلك في مطلع 1925 في أحد اجتماعاتها حين أعلن هذان الانهزاميان أن البناء الاشتراكي في بلد متخلف كالاتحاد السوفياتي لا يكتب له النجاح الا بمساعدة أوروبا المصنعة. وطفت على السطح مرة أخرى مسألة بناء الاشتراكية في بلد واحد واتضَح الخيط الرابط بين موقفهما الانهزامي وبين صاحب «الثورة الدائمة» الذي لا يرى هو الاخر امكانية لبناء الاشتراكية الا بعد انتصار الثورة في البلدان الاوروبية.

كشفت الندوة 15 للحزب عن مواقف الكتلتين اليمينية واليسارية وأكدت المبدأ اللينيني القائل «بامكانية بناء الاشتراكية في بلد واحد انتصرت فيه الثورة، بالاعتماد على قواه الذاتية».

وكلّما تطوّر الصراع ضد الكتلتين اتسعت الهوة بينهما وبين الحزب الى أن تحولتا الى فرقتين معاديتين للثورة تعملان على تخريب الثورة والاشتراكية.

وبداية من 1927 تمكنت الكتلتان من وضع أرضية مشتركة تجمعهما وتمثل خليطا من الافكار والمقولات الانهزامية والانتهازية المعادية للينينية ولخط الحزب. وتحولتا بذلك الى حزب يتعارض كليا والحزب البلشفي. وبدأتا تعدان للقيام بأعمال معادية للسوفيات، وتقاومان الحزب والسلطة السوفياتية. فيتدخل أتباعها في اجتماعات اللاحزبيين ويعقدون الاجتماعات السرية... الخ.

ولما أخذت أعمالهم هذا المنعرج قرّرت اللجنة المركزية للحزب البلشفي فسخ عضوية تروتسكي وزينوفياف وزكى المؤتمر 15 المنعقد في ديسمبر 1927 هذا القرار واتخذ نفس الاجراء في شأن كاميناف وغيره.

وبعد أن أطردت هذه الجماعات المعادية للاشتراكية واللجنة المركزية من الحزب، مرت الى أساليب عمل ارهابية تم كشفها في الابان وقمعها. عندئذ قرّرت الحكومة السوفياتية معاقبة تروتسكي بابعاده عن البلاد، خاصة وأنه يتحرق للالتحاق بالقادة المنشقين والاشتراكيين الثوريين الذين أصبحوا منذ أمد طويل يعملون لحساب البورجوازية الاحتكارية، ويتعاون عدد منهم مع النازية.

وفي المهجر رمى تروتسكي كلّ أقنعته وظهر بوجهه الحقيقي المعادي للاشتراكية وللماركسية اللينينية حول جميع قضايا الثورة. وأصبح يتعاون مع الجرائد الاكثر رجعية يمدها بمقالات مهينة للاتحاد السوفياتي وقادته وعلى الاخص ضد ستالين. ثم جمع حوله الفرق التي رمتها الاممية الشيوعية خارج صفوفها على قاعدة أرضية ايديولوجية واحدة «معادية للشيوعية والاممية الثالثة وبلد دكتاتورية البروليتاريا».

وهكذا تلاقت أهداف تروتسكي وأتباعه مع أهداف البورجوازية العالمية وعلى الاخص فرقها الفاشية. ووصل الامر الى حدّ تنظيم محاولات اغتيال ضد قادة الاتحاد السوفياتي، ذهب ضحيتها كيروف.

وختاما لهذا الفصل نود تقديم بعض المقتطفات من رسالتين وجهها تروتسكي، الاولى الى رئيس الكتلة المنشفية في الدوما «نيكولا تشيكدزي» وهي مؤرخة بتاريخ أفريل 1913، والثانية وجهها الى ميخائيل ستيبانوفيتش (عضو قديم في الحزب) في 1921.

ومن بين ما ورد في الاولى ما يلي:

«...(ان) الانشقاق التعيس الذي أثاره لينين، الخبير في هذا الفن، ومحترف استغلال رتابة الحركة العمالية الروسية يظهر بمثابة حلم مزعج وعبثي. لا يوجد أي اشتراكي عاقل لا يعتقد أن الاختلاف بين وجهات النظر التي فبركها لينين في كراكوفي، هي بقيمة تؤدي الى الانشقاق...» و«في كلمة ان اللينينية في هذه الفترة مبنية على الكذب والتزوير وتحمل في ذاتها تفكّكها.

وممّا لاشك فيه أنه اذا أحسن الطرف المقابل التصرف فان السوس سوف لن يتخلّف عن الظهور بين اللينينيين...».

«يجب أن تكون خطتنا حاليا قائمة على (...) «تحطيم ايديولوجي وتنظيمي للحدود التنظيمية التي مازالت قائمة، ومن ثمّة تحطيم أسس اللينينية التي لا تتلاءم وتنظيم العمال في حزب سياسي»[3].

وممّا ورد في الرسالة الثانية ما يلي:

«... تطلبون مني ان كان بامكانكم نشر رسائلي لتشيكدزي، ان الظرف ليس سانحا...»

«لقد أخطأت كليا في تقديري للشق المنشفي حين كنت أضخم من طاقاته الثورية والذي كنت أتصور انه بالامكان عزله والتخلص من اليمين. ويعود هذا الخطأ الاساسي الى انني كنت أقدر الشقين البلشفي والمنشفي من زاوية الثورة الدائمة ودكتاتورية البروليتاريا. بينما كان البلاشفة والمناشفة يتبنون في ذلك الوقت الثورة البورجوازية والجمهورية الديمقراطية. ولا أظن أن الشقين تفصلهما خلافات عميقة. وكنت آمل (كما كنت عبرت عن ذلك مرارا في رسائل وتقارير) أن سير الثورة سوف يجرهما الى أرضية الثورة الدائمة وافتكاك السلطة من قبل الطبقة العاملة وهو ما تحقّق جزئيا في 1905...».

«إني أعتقد أن تقديري للقوّة المحرّكة للثورة كان صحيحا بدون أدنى شك. . .»[3]

تؤكد المقتطفات التي قدّمناها من الرسالتين العداء المقيت الذي يضمره تروتسكي للينين واللينينية ـ في حين يدعي تروسكيونا أنهم لينينيون ـ كما أنها تعطينا نموذجا حيا من تروتسكي متعدد الوجوه. وتمثل شهادة قاطعة على أنه لم يتخلّ في أي مرحلة من مراحل حياته عن نظرياته وحافظ عليها حتى عندما انضم إلى صفوف الحزب البلشفي في 1917 (قبيل الثورة).

ويكفي أن نعرف أن تروتسكي قضى أكثر من ثلاثين سنة من حياته السياسية التي وصلت الأربعين يناهض البلشفية واللينينية وتحوّل في آخر حياته إلى ألدّ أعداء الاشتراكية والدولة السوفياتية، لكي نفهم مصدر التقلّب الذي دأب عليه والعداء الذي يكنه للبلشفية.

II ـ التروتسكية نظرية معادية للماركسية اللينينية على طول الخط:

1) التروتسكية والحزب من الطراز اللينيني:

تعود بدايات قطيعة تروتسكي مع الماركسية إلى 1903 في المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي الديموقراطي الروسي، لما وقف إلى جانب المناشفة وضد لينين والبلاشفة فيما يتعلّق بصياغة القوانين الداخلية للحزب.

بدأ الخلاف بين البلاشفة والمناشفة (مع الملاحظ أن هذا التشكل لم يظهر إلا في آخر المؤتمر وبعده، ونستعمل هذه التسمية للدلالة فحسب)، حول مضمون الفقرة الأولى من النظام الداخلي.

قدّم مارتوف مشروعه: **«يعتبر منتسبا لحزب العمال الاشتراكي الديموقراطي الروسي كل من يعترف ببرنامجه ويعمل بنشاط على تنفيذ مهامه تحت رقابة هيآت (كذا) الحزب وقيادتها»**[4]

يتعارض هذا المشروع مع ما قدمه لينين:

«يعتبر عضوا في الحزب كلّ من يعترف ببرنامجه ويؤيده ماديا ويشترك شخصيا في إحدى المنظمات الحزبية»[5].

كان الخلاف في البداية محدودا وثانويا لا يتوقّف عليه حياة الحزب أو موته، رغم أنه يمسّ بقضايا مبدئية. لكن الذي وقع بعد المؤتمر حوّل هذا الخلاف الصغير إلى خلاف كبير

---

(3) (4) و (5) المختارات، (مجلد 1 ـ الجزء 1) لينين، دار التقدم موسكو 1986 ص 409.

أصبح محددا في بقاء الحزب أو اندثاره. عندما شرع المناشفة في البحث عن مبررات لموقفهم ووضعوه في المنزلة الأولى وأصبحوا طبقا لذلك يعارضون قرارات المؤتمر ويعرقلون تنفيذها. تجلّى وقتها العمق الانتهازي للمناشفة. وأصبحت الفقرة الأولى خطّ الفصل بين نظريتين للحزب:

الأولى: يدافع عنها لينين تقول بوجوب أن يكون الحزب كلّا منظما، باعتباره طليعة الطبقة العاملة. وأن تكون الحدود بينه وبين الطبقة مرسومة بوضوح بحيث لا يستقبل في صفوفه إلا العناصر الطلائعية القابلة للتنظم. لذلك شدد لينين في الفقرة الأولى على أن يوافق العضو على البرنامج ويدفع معلوم اشتراكه وينتمي إلى إحدى منظمات الحزب ويخضع لانضباطية واحدة تحددها قوانين الحزب الداخلية. ولخّص لينين نظريته في المخطط التالي:

«من الممكن عرض الفكرة بوضوح على النحو التالي تبعا لدرجة التنظيم بصورة عامة ولدرجة سرية المنظمة بصورة خاصة يمكن تمييز الفئات التالية على وجه التقريب:

1) منظمات الثوريين (يعني بها المحترفين، من عندنا).

2) منظمات العمال، على أن تكون واسعة ومتنوعة قدر الامكان (وإني أقصر كلامي على الطبقة العاملة وحدها لكني أفترض من البديهي أن ينظم إليها أيضا بعض العناصر من الطبقات الأخرى في بعض الأحوال). إن هاتين الفئتين تؤلفان الحزب.

ثم 3) منظمات العمال التي ترتبط بالحزب.

4) ومنظمات العمال التي لا ترتبط بالحزب لكنها تخضع لرقابته وقيادته.

5) العناصر غير المنظمة من الطبقة العاملة هذه العناصر التي تخضع جزئيا أيضا لقيادة الاشتراكيين ــ الديمقراطيين (تسمية قديمة للشيوعيين ــ من عندنا)، على الأقل أثناء المظاهرات الكبيرة للنضال الطبقي»[6]

وكان لينين شرح أفكاره هذه بالعمق الكافي في «ما العمل ؟» وفي «رسالة إلى رفيق» وعاد لاثرائها وتعميقها، على قاعدة الجدال الذي قابل بالمناشفة في المؤتمر الثاني وما بعده في مؤلفه «خطوتان...»

أما الثانية فيتبناها ويدافع عنها مارتوف والمناشفة وانظم إليهم تروتسكي. إنهم يريدون حزبا مفتوحا لا حدود له، حزبا لا فرق بينه وبين الطبقة التي يمثلها. يقول مارتوف:

---

(6) المختارات، (مجلد 1 ـ الجزء 1) لينين، التقدم موسكو 1986 ص 373 و 442.

«كلّما عمّمت تسمية عضو الحزب كلما كان أفضل»[7].

ويضيف :

«لا يسعنا إلا أن نغتبط إذا كان بامكان كل مضرب، كل متظاهر، يدرك مسؤولية أعماله، أن يعلن عن نفسه عضوا في الحزب»[8]

وبهذه الصورة يفقد الحزب صفته الطلائعية. ويصبح لا فرق بينه وبين جمهور طبقته. وتعم فيه الفوضى والتردد والميوعة التنظيمية.

انحدر المناشفة بنظرية الحزب الماركسي إلى مستوى الفوضوية والعفوية، لأنهم لا يريدون أن يضعوا فرقا بين المنتسب للحزب وغير المنتسب بدعوى أن الحزب هو حزب طبقة وليس حزب نخبة. لذلك لا بد أن يكون مفتوحا عليها، مفتوحا لكل مضرب وكل طالب يعلن أنه اشتراكي ــ ديمقراطي. وهم بذلك لا يقيمون وزنا للوعي الطبقي ولا للمسؤولية الحزبية.

إنه لمجرّد حلم ساذج الاعتقاد أن الطبقة العاملة وعلى الأخص في عهد الرأسمالية بامكانها أن ترتقي إلى مستوى طليعتها وتنتمي للحزب أي لهيئة أركانها العليا ــ كما عرفه ستالين ــ، يقول لينين بهذا الصدد :

«نحن نخدع أنفسنا ونغمض عيوننا عن عظمة مهماتنا، بل نضيّق نطاق هذه المهمات، إذا نحن نسينا الفرق بين فصيل الطليعة وبين كل الجماهير التي تميل إليها، وإذا نسينا أنه على فصيل الطليعة واجب دائم هو رفع جماعات أوسع فأوسع إلى هذا المستوى المتقدم الراقي. وإننا نعمل بالضبط على اغماض العيون إذا محونا الفرق بين المرتبطين وبين المنتسبين بين العناصر الواعية والنشيطة وبين العناصر التي تساعدنا»[9]

أغمض المناشفة أعينهم بالفعل عن مهمات الحزب ودوره عندما قدموا انعدام التنظيم على أنه التنظيم، بمجرد أن يعلن أي مضرب انتسابه للحزب واعطوه حق الاعلان عن نفسه عضوا.

إن صيغة الفقرة الأولى من النظام الداخلي التي قدمها مارتوف تدافع بالكلام عن الفئات العمالية الواسعة وعن حقها في الانتماء للحزب، لكنها في الواقع تخدم نرجسية المثقفين البورجوازيين الصغار الذين يخافون التنظيم البروليتاري والانضباط الحزبي، لأنهم مشبعون بفرديتهم حتى النخاع.

---

(7) و (8) المختارات، (مجلد 1 ـ الجزء 1) لينين، دار التقدم موسكو 1986 ص 427.

(9) المختارات، (مجلد 1 ـ الجزء 1) لينين، دار التقدم موسكو 1986 ص 427.

ولخّص لينين هذه الفوضى وهذا التشويش الذي يتضمنه مخطط مارتوف لبناء الحزب كما يلي :

«1) منظمات مؤلفة من ثوريين.

2) منظمات عمالية معترف بها منظمات حزبية.

3) منظمات عمالية غير معترف بها منظمات حزبية (ولا سيما منظمات المستقلين).

4) أفراد منفردين يقومون بشتى الوظائف من أساتذة، وطلاب.. الخ.

5) كل مضرب»[10].

نأتي الآن لتروتسكي. لقد وقف طيلة المؤتمر وبعده بقليل في الوسط، ثم التحق بمارتوف والمناشفة عندما أصبح يقلل من أهمية النظام الداخلي بدعوى أن للانتهازية جذورا أعمق من هذا البند أو ذاك، وهي دعوة صريحة للتخلي عن الضوابط والحدود التنظيمية وفتح الحزب أمام كل مضرب وكل مثقف. يقول تروتسكي :

«إنه أسهل على الشبان المثقفين المنتظمين بشكل أو بآخر أن ينخرطوا في صفوف الحزب»[11].

يتمثل هدفه الأساسي في التقليل من أهمية المبادىء التنظيمية لجعل الحزب مفتوحا مائعا تنظيميا وبالتالي أداة في يد البورجوازية تضلّل بواسطته الطبقة العاملة وتضرب وحدتها.

عرف تروتسكي، عندما كان ايسكريا، القوانين الداخلية للحزب «بالحذر المنظم». إلا أنه نسيها فيما بعد ولم تعد تمثل بالنسبة إليه ذاك السلاح القوي الذي يستعمله الحزب ضدّ الانتهازية. ونسي أنه بقدر ما تكون للانتهازية جذور عميقة بقدر ما يستوجب استعمال سلاح قاطع ضدها.

وبمزيد اقتراب تروتسكي من المناشفة ووقوفه ضد البلاشفة، بنى نظريته الخاصة بنمط الحزب الذي ينشده : حزب يضمن حرية التكتل والتجمّع. هذه هي القاعدة النظرية التي قادت تروتسكي والتروتسكيين في نشاطهم التصفوي والمعادي للحزب، باسم الوحدة.. الخ.

يقول لينين بهذا الصدد :

«وفيما يتعلق بأهمية شروط تحقيق وحدة الحزب هنالك نظرتان :

- واحدة تخضع في المقام الأول للتوفيق بين أشخاص ومجموعات وهيئات معينة. وفي المقام الثاني الوحدة حول عمل الحزب وحول التوجه الذي نعطيه له. وتبذل جهدها

---

(10) المختارات، (مجلد 1 - الجزء 1) لينين، دار التقدم موسكو 1986 ص 438.

لاخماد الخلافات عوضا على البحث عن منابعها وتحديد أهميتها. . . وفي كلمة إنه العمل على القاعدة «عش، واترك الآخرين يعيشون» !!

«طلب المناشفة من الهيئة المركزية القبول بالتحكيم واقترحوا عضوا من البوند وتروتسكي حكمين، سوف يلعبان دور الخاطبة لتزويج «الأفراد والمجموعات وهيئات معينة» بدون أن يفرضا على أحد التخلي عن «التصفوية».

«وعقلية الخاطبة هذه هي التي تشكل كل القاعدة الايديولوجية والسياسية التوفيقية لتروتسكي واينونوف»[11].

ويضيف لينين في مكان آخر :

«إذا كان تروتسكي واينونوف اليوم يهدفان إلى التوفيق بين الحزب وبين الأشخاص والمجموعات والهيئات المعينة فإنهما لن يكونا بالنسبة إلينا بلشفيين أو منشفيين (معادين للتصفويين) بل خائنين للحزب لا أكثر ولا أقل»[12].

وتجلت أيضا النظرية التروتسكية للحزب في سياسة تروتسكي الانقسامية التي قال عنها لينين :

«إن سياسة تروتسكي تتمثل في «التعاون الودّي» بين البرافدا وكتل بوتريشوف وأتباع فبيريود. الأدوار موزعة داخل هذا التكتل بصورة واضحة : بوترشوف وأمثاله يواصلون عملهم في سبيل حل الحزب السري وتكسير الاشتراكية ـ الديمقراطية، والفولوسيون يشكلون فرع المهجر لهذه الكتلة، وتروتسكي يتحمل دور المحامي مُطَمْئِنا السذّج على أنه «من بين التيارات داخل الحزب تبلورت سياسة اشتراكية ديمقراطية ثابتة». واستفاد أيضا متطرفو فرق فبيريود من خدمات هذا المحامي الذي يدافع عن حرية مدرستهم الانقسامية ويغطي عن سياستهم بكلام مفخم مراسمي ومنافق»[13].

«إن تكتل تروتسكي وبوتريشوف والمتطرفين هو بالضبط مغامرة من وجهة نظر المبادىء»[14].

ويضيف لينين :

«يسلك تروتسكي سياسة مغامرية من وجهة النظر التنظيمية لأنه وكما سبق أن قلنا، إن هذه السياسة تتعارض وقوانين الحزب. وبتنظيمه ندوة باسم فريق في المهجر (أو باسم

---

(11) ترتسكي والترتسكية (نصوص ووثائق، نورمان بيتوين (1937) ص 24.
(12) ترتسكي والترتسكية (نصوص ووثائق، نرومان بيتوين (1937) ص 27.
(13) ترتسكي والترتسكية (نصوص ووثائق، نورمان بيتوين (1937) ص 30.
(14) ترتسكي والترتسكية (نصوص ووثائق، نورمان بيتوين (1937) ص 31.

كتلتين معاديتين للحزب : الفولوسيون والمتطرفون) فإن تروتسكي دخل مباشرة طريق الانشقاق»[15].

ويعلن تروتسكي والتروتسكيون في نفس الوقت أنهم لا يمثلون كتلة وهدفهم الوحيد هو الدعاية للوحدة والتوجه إلى كافة الكتل بغاية تجاوز الحواجز المفتعلة التي تعيق تحقيق الوحدة. كتب تروتسكي ممتدحا جريدة «الحياة العمالية»** :

«لا بلشفي ولا منشفي ولكن اشتراكي ديمقراطي ثوري»[16].

ونسي بأن الشيوعي لا يمكن أن يكون ثوريا إلا إذا تباين بكل وضوح مع كل الارهاط الانتهازية وناضل ضدّ الشيوعيين المزيفين وضد التصفويين وكل المعادين للحزب :

هذا هو الحزب الذي تنشده التروتسكية للطبقة العاملة، حزب أرضيته الايديولوجية والسياسية مبنية على أساس الوفاق الطبقي، ويعتمد الديبلوماسية المنافقة كأسلوب عمل والتكتل وتعدد المراكز مبادىء تنظيمية.

إن التروتسكية تدخل في تعارض تام مع الماركسية اللينينية فيما يتعلق بنظرية الحزب ومع الحزب من الطراز الجديد. لم يظهر ذلك في المجال النظري وحسب، بل كان قاعدة نشاط الكتلة التروتسكية المعادي للبلشفية قبل الثورة وأثناءها وبعدها. وجد تروتسكي أرضية خصبة في العناصر البورجوازية الصغيرة المترددة حيال دكتاتورية البروليتاريا، والتي تمكنت فرق منها من الانضمام للحزب في غمرة الثورة المظفّرة، ومنها عدد من المناشفة والاشتراكيين ـ الثوريين والبريتسيين والبونديين والمتطرفين وكذلك في العناصر غير البروليتارية التي انضمت للحزب إبان الثورة. وحسب الاحصائيات الرسمية يتضح أن أكثر من 22 ألف، أي حوالي 8,5٪ كانوا أعضاء سابقين في أحزاب سياسية أخرى.

وحملت هذه العناصر معها فكرها البورجوازي الصغير وأسلوب عملها وتصوراتها مما جعلها تشكل تربة خصبة للنشاط المعادي للحزب وللسوفياتات، هذا بالاضافة إلى أن العديد منها تسلل كي يواصل عمله التخريبي من الداخل.

فكلما ازداد الصراع الطبقي حدّة سواء في صدّ العدوان الامبريالي أو في الحرب الأهلية، أو في إعادة البناء (مع النيب) أو التقدم في البناء الاشتراكي (صناعة، فلاحة، تجارة. . .) كانت آراء هذه العناصر تظهر في شكل تجمعات انشقاقية تهاجم سياسة الحزب

---

(15) ترتسكي والترتسكية (نصوص ووثائق، نورمان بيتوين (1937) ص 31.

(16) ترتسكي والترتسكية (نصوص ووثائق، نرومان بيتوين (1937) ص 40.

(**) «الحياة العمالية» جريدة شهرية «عمالية اشتراكية ديمقراطية صدرت في 1911 بباريس باللغة الروسية تحت إدارة البلاشفة التوفيقيين والتصفويين».

وتثير الاضطرابات في برنامجه ومخططاته ولولا قيادة لينين وستالين الصارمة لما تسنى للطبقة العاملة أن تبني الاشتراكية وأن ترى سلطتها النور. وكان تروتسكي ملهم هذه الجماعات وقائدها الفعلي، سواء كان ذلك بمناسبة صلح بريست ليتوفسكي، أو في النقاش العام حول النقابات وحول مسألة بناء الاشتراكية في بلد واحد، وحول الازمة الداخلية للحزب، وكذلك في النشاط التخريبي والمعادي للسلطة السوفياتية الذي بدأت تقوم به بعد أن فقدت قاعدتها داخل البروليتاريا والشعوب السوفياتية وبعد أن فقدت صفتها كتيار داخل الطبقة العاملة.

2) نظرية «الثورة الدائمة» معادية للماركسية اللينينية والثورة :

أ ـ كيف حطّ تروتسكي من فكرة الثورة الدائمة الماركسية وأعاد لينين لها الاعتبار :

كثيرا ما تردّد في أوساط اليسار، كون تروتسكي هو الذي أتى بفكرة «الثورة الدائمة» في حين أنها تعود في الأصل إلى ماركس الذي صاغها لأول مرة سنة 1850 في رسالته الشهيرة لجامعة الشيوعيين الألمان ومن بين ما ورد فيها :

«في الوقت الذي يريد البورجوازيون الصغار الديمقراطيون تحقيق أقصى ما يمكن من المطالب العاجلة لانهاء الثورة في أسرع ما يمكن فإن مصالحنا ومهمتنا تتمثل في جعل الثورة مستمرة (أو دائمة، والاضافة من عندنا)، طالما أن كل الطبقات المالكة لم تتم ازاحتها من السلطة وأن الطبقة العاملة لم تمسك بعد بالسلطة، وأن تجمعات البروليتاريين في أهم بلدان العالم، لا في بلد واحد فقط، لم تتطور بدرجة كافية لوضع حدّ للتنافس بين بروليتاري هذه البلدان، وأن قوى الانتاج وعلى الاقل الحاسمة لم تصبح ممركزة بين أيدي البروليتاريين»[17].

إن فكرة ماركس حول الثورة الدائمة تعني، كما تبينها الفقرة التي أوردناها، السير بالثورة على مراحل تطيح بالطبقات الحاكمة الواحدة تلو الأخرى إلى أن تضع الطبقة العاملة يدها على السلطة السياسية. وعلى هذا الأساس فإن ماركس لم يضع أمام الثورة الألمانية سنة 1850 مهمة إقامة دكتاتورية البروليتاريا مباشرة بل شدّد على ضرورة البدء بالمهام الديمقراطية وتوسيعها أقصى ما يمكن لكي يصل في النهاية إلى تركيز دكتاتورية البروليتاريا، وكذلك الأمر فيما يتعلق بالنضال على النطاق العالمي، يقترح ماركس الاطاحة بكل جزء من الطبقات الحاكمة على حدة، طبقا لدرجة تطور قوى الانتاج ولدرجة التنظيم الذي بلغته البروليتاريا.

---

(17) مسائل اللينينية، نشر باللغة الاجنبية، موسكو 1951، ستالين ص41.

ماذا فعل تروتسكي بفكرة ماركس حول «الثورة الدائمة». لقد استعارها منه وحرفها فأصبحت على الصورة التالية : البدء في الثورة بدكتاتورية البروليتاريا، بقطع النظر عن درجة تطور قوى الانتاج وعن درجة تنظيم الطبقة العاملة واستعدادها. أما على النطاق العالمي فإنه لا يرى نجاحا للثورة إلا إذا قامت ـ على الأقل ـ في البلدان الأوروبية المتقدمة.

وبهذه الصورة أصبحت «الثورة الدائمة» التروتسكية غير ممكنة التحقيق في الواقع لأنها تمثل قفزة في الفراغ وتعبيرا عن ارادة بورجوازية صغيرة لحرق المراحل بالشعارات والأفكار المجردة.

وأعاد لينين الاعتبار لفكرة ماركس عشية الثورة الروسية الاولى سنة 1905 في مؤلفه «خطتا الاشتراكية ـ الديمقراطية..» الذي شرح فيه الترابط بين مرحلتي الثورة الديمقراطية البورجوازية والاشتراكية «كحلقتي سلسلة واحدة، وكلوحة عامة لمدى الثورة الروسية» على حد تعبير ستالين. يقول لينين :

«بعد انجاز الثورة الديمقراطية ندخل مباشرة ـ في الحدود الدقيقة لقوانا وفي حدود قوى البروليتاريا الواعية والمنظمة ـ طريق الثورة الاشتراكية. نحن مع الثورة الدائمة (التسطير لستالين) نحن لا نقف في منتصف الطريق...»[18].

إن لينين مع «الثورة الدائمة» الماركسية أي الثورة الدائمة على مراحل. وهو لم يفصلها الواحدة عن الأخرى بجدار صيني بل حصر شروط المرور من هذه إلى تلك بدرجة تهيىء البروليتاريا وبدرجة وحدتها مع الفلاحين الفقراء.

كان لينين يخطط كي تمتد الثورة الروسية لبضع سنوات وأن لا تتوقف عند الحصول على بعض التنازلات الطفيفة من قبل الماسكين بالسلطة بل عمل على أن تستمر إلى حدّ الاطاحة بهم نهائيا. لذلك وضع أمام البروليتاريا منذ 1905 مهمات النضال الديمقراطي كقاعدة لتوسيع الثورة وتطويرها بهدف قلب القوى الرجعية الواحدة تلو الأخرى، والوصول بها في النهاية إلى دكتاتورية البروليتاريا.

بينما كان تروتسكي يريد الانطلاق من نهاية السيرورة الثورية غير عابىء بالمرحلة التي تمرّ بها الثورة وغير مبال بدرجة تأهّب الطبقة العاملة وبمدى صلابة وحدتها مع الفلاحين الفقراء. الامر الذي يضع «الثورة الدائمة» التروتسكية في صف النظريات المعادية للماركسية اللينينية والثورة.

---

(18) نفس المصدر ص 163.

ب ـ استصغار دور الفلاحين :

إن أهم قضية تعترض حزب الطبقة العاملة هي تحديد طبيعة المجتمع وطبقاته والعلاقة فيما بينها وبالتالي ضبط المهمات العامة للثورة ومراحلها. وهو ما عجز تروتسكي عن فهمه ولم يساعد حزبه على تملكه بل على العكس من ذلك عمل على بث البلبلة والاضطراب بين صفوفه في وقت كانت فيه ثورة 1905 تدق على الأبواب، عندما طلع عليه وعلى البروليتاريا الروسية بنظرية «الثورة الدائمة» التي «**أخذت من البلاشفة النداء للنضال الثوري الحازم والاستيلاء على السلطة السياسية من قبل البروليتاريا، ومن المناشفة نفيهم لدور الفلاحين**»[19].

تؤكد هذه النظرية على أن التمايز الطبقي في الريف بلغ درجة فقد معها الفلاحون دورهم الثوري وأصبحت الثورة «الوطنية» مستحيلة الوقوع في عهد الامبريالية لأن هذه الأخيرة «**لا تقابل الأمة البورجوازية بالنظام القديم، بل تقابل البروليتاريا بالأمة البورجوازية**»[20] وهو يعني أن روسيا في 1905 كانت على أبواب ثورة اشتراكية لذلك رفع تروتسكي شعار «لا للقيصر، حكومة عمالية». إنه يطلب من الطبقة العاملة أن تقوم بالثورة بمفردها وبالاعتماد على المساندة الخارجية التي تقدمها لها الثورة البروليتارية المظفرة في أوروبا، وتستغني عن الفلاحين الذين تحولوا ـ حسب زعمه ـ شيئا فشيئا إلى قوة رجعية بفعل التمايز الطبقي.

إن التمايز الطبقي ساعد في الواقع على انضاج الصراع الطبقي أكثر في الريف ووطّد العلاقة بين البروليتاريا الصناعية والريفية، ورفع الوعي السياسي للعديد من العناصر التي كانت في السابق مغمورة لكن بقايا الاقطاعية القيصرية مازالت قوية وتأثيرها على النضال الطبقي بارز بشكل لا يمكن حجبه بالجمل الثورية النقية والاعلانات «الصارمة». لذلك يبقى دور الفلاحين قائما في الثورة. وهو ما دفع بالبلاشفة إلى تعبئة الطبقة العاملة والشعب للنضال في سبيل الجمهورية وانتزاع أراضي الملاكين العقاريين الكبار والاقطاعيين.

إن البلاشفة لم يديروا ظهورهم للنضال الديمقراطي البورجوازي لأنهم يقدّرون طاقات الفلاحين الثورية حقّ قدرها ويعملون على استعمالها إلى جانب الطبقة العاملة للاطاحة بالطبقات الرجعية الواحدة تلو الأخرى إنهم يعملون على «**تشريك الجماهير**

---

(19) تروتسكي والتروتسكية ص 11.

(20) نفس المصدر ص 11.

الشعبية غير البروليتارية لتحرير روسيا البورجوازية من الامبريالية والاقطاعية ـ العسكرية (يعني القيصرية)»[21].

كان لينين يقدّر الطاقات الثورية الكبيرة للفلاحين حق قدرها للاطاحة بالنظام القيصري وإقامة الجمهورية الديمقراطية والمرور بها سريعا إلى الثورة الاشتراكية بينما يحقّر تروتسكي من دورهم ومن طاقاتهم الثورية ولا يرى لهم مكانا في الثورة ولا امكانية للطبقة العاملة كي تجرهم وراءها وتقود نضالهم.

وبهذه القطيعة التي يقرّرها تروتسكي بين البروليتاريا والفلاحين و«الجماهير الشعبية» غير البروليتارية يحكم على الثورة بالعقم ويتركها محصورة في نطاق الجملة والخطاب الثوري»، «شديد النقاوة» يحكم على الفلاحين بالبقاء احتياطيا للبورجوازية وجيشها الجرار، وبالتالي ادامة الاستغلال والاضطهاد الرأسماليين والوقوف عمليا ضدّ الثورة.

ج ـ «الثورة الدائمة» والاشتراكية في بلد واحد

ترتكز اللينينية على امكانية قيام الثورة في بلد واحد، لان التطور غير المتساوي للبلدان الرأسمالية في المرحلة الامبريالية ونموّ التناقضات وتفاقمها يؤدي حتما إلى مزيد تعفن النظام الرأسمالي العالمي وتسارع أزماته الدورية وشمولها كافة فروع الاقتصاد وكافة أوجه الحياة العامة ، وتصبح الحروب الاقليمية والعامة محتمة، وبالمقابل تنمو الحركة الثورية للطبقة العاملة والشعوب والأمم المضطهدة، وبذلك تصبح إمكانية قطع السلسلة في حلقة من حلقاتها أو في حلقات متعددة مسألة ممكنة الوقوع عندما تتوفر الشروط المناسبة لذلك. كان لينين ضبط بوضوح نادر في مؤلفه «اليسارية مرض الشيوعية الطفولي»:

«إن القانون الجوهري للثورة، الذي أثبتته كل الثورات وخصوصا الثورات الروسية الثلاثة للقرن العشرين هو: لكي تقع الثورة ينبغي أن تعي الجماهير المستغلة والمضطهدة باستحالة العيش كما في السابق وتنشد التغيير، لكي تقع الثورة ينبغي أن يستحيل على المستغلين العيش والحكم كما في السابق... وقتها فقط يمكن للثورة أن تنتصر...»[22].

وبما أن الثورة أصبحت في عهد الامبريالية والثورة الاشتراكية ممكنة الحدوث في بلد واحد، وبامكان البروليتاريا الوصول إلى السلطة فهذا يعني أن الاشتراكية ممكنة التحقيق

---

(21) نفس المصدر ص 12.
(21) ترتسكي والترتسكية ص 11.
(22) نفس المصدر ص 12.

في بلد واحد، وبالامكان تطويرها بصفة مستمرة بالاعتماد على القوى الذاتية لبلد الثورة المظفرة إلا أن تروتسكي نفى بالمقابل ومن ورائه المعارضة اليمينية امكانية انتصار الثورة في بلد واحد، وامكانية بناء الاشتراكية أيضا، كتب تروتسكي في 1906 يقول :

«لا يمكن للطبقة العاملة الروسية أن تحوّل هيمنتها الظرفية إلى دكتاتورية اشتراكية دائمة إذا لم تتلق مساعدة دولية مباشرة من قبل البروليتاريا الأوروبية. ولا يجب أن يساورنا الشك في ذلك لحظة واحدة»[23].

إن تروتسكي لا يستصغر دور الفلاحين في الثورة ــ كما سبق أن ذكرنا ــ بل يحقّر أيضا من الطاقات الثورية للطبقة العاملة في عملية الاطاحة بالبورجوازية وتركيز سلطتها وبناء الاشتراكية. إنه يعوّل على الثورة المظفرة في أوروبا، أي على المدد الخارجي لانه اعتبره العامل الحاسم في الانتصار النهائي. ومن هذا المنطلق أجّل الاطاحة بسلطة الطبقات الرجعية والقضاء على النظم الاستغلالية إلى ما بعد انتصار البروليتاريا في البلدان الرأسمالية المتقدمة. وهكذا ربط تروتسكي مع النظريات الانتهازية لزعماء الاممية الثانية القائلة باستحالة انتصار الثورة البروليتارية في غير البلدان الرأسمالية المتقدمة. كتب تروتسكي في كراس أصدره عام 1917 بعنوان «برنامج السلم» يقول :

«إن الثورة المظفرة في روسيا أو في بريطانيا يكون ادراكها غير ممكن بدون الثورة في ألمانيا، والعكس بالعكس»[24].

وينتقد تروتسكي اللينينية حول امكانية انتصار الاشتراكية في بلد واحد زاعما أن نجاح الاشتراكية لا يمكن أن يكون مضمونا إلا في نطاق «الولايات المتحدة الأوروبية» يقول :

«إن المعارضة التاريخية الملموسة نسبيا لشعار الولايات المتحدة كانت مصاغة في الاشتراكي ـ الديمقراطي السويسرية. بهذه الكلمات : «إن التطور الاقتصادي والسياسي اللامتكافىء هو قانون مطلق للرأسمالية وخرجت الاشتراكي ـ الديمقراطي بالنتيجة التالية : إن انتصار الاشتراكية في بلد واحد ممكن الوقوع. وبناء على ذلك فإنه من غير المجدي ربط دكتاتورية البروليتاريا في كل بلد بتكوين الولايات المتحدة الاوروبية. أن يكون التطور الرأسمالي لمختلف الدول غير متكافىء، هذه مسألة لا جدال فيها لكن عدم التكافؤ هو نفسه غير متكافىء. فالمستوى الرأسمالي لبريطانيا والنمسا وألمانيا أو فرنسا ليس

---

(23) مسائل اللينينية، ستالين ص 130.
(24) ترتسكي والترتسكية ص 16.

نفسه. ومقارنة بافريقيا وآسيا كل هذه البلدان تمثل «أوروبا» الرأسمالية الناضجة للثورة الاشتراكية. ليس مطروحا على أي بلد أن «يترقب» في نضاله البلدان الاخرى، وهي فكرة بسيطة وأوّلية من الضروري والمفيد تكرارها لكي لا نعوّض فكرة العمل الأممي بفكرة الجمود الأممي المتقوقعة. ونبدأ ونواصل النضال على النطاق الوطني، بدون انتظار الآخرين، مع اقتناعنا التام أن بادرتنا سوف تعطي دفعًا للنضال في البلدان الاخرى. والحالة هذه فإذا لم يحدث ذلك، لم يعد من أمل في الاعتقاد أن روسيا الثورية مثلا - والتجربة التاريخية والاعتبارات النظرية تثبت - يمكنها أن تقف في وجه أوروبا الرجعية، أو أن ألمانيا الاشتراكية يمكنها أن تبقى معزولة في العالم الرأسمالي»[25].

يلاحظ القارىء كيف تظاهر تروتسكي بالقبول بنظرة لينين للعصر وبإمكانية قيام الثورة وانتصارها في بلد واحد واعتبرها من المسلمات، وأضاف من عنده بعض الجمل الفضفاضة، ثم بدأ يتراجع ويكشف عن وجهة نظره الحقيقية بدون أقنعة حين يؤكد أن الثورة المنتصرة لا يمكن لها أن تعيش إلا إذا انتصرت في «أوروبا». وهكذا يكون قد غرق في الانهزام فدعا روسيا الثورية الى إلقاء سلاحها أمام «أوروبا» الرجعية التي لم تنتصر الثورة فيها بعد.

لقد أعاد تروتسكي في 1922 توضيح نظريته حول الثورة في ملحق «برنامج السلام» يقول :

إن التأكيد القائل إن الثورة البروليتارية لا يمكنها أن تنتهي بنصر على النطاق الوطني وهو تأكيد تكرر مرارا عديدة في برنامج السلام وربما يبدو لبعض القراء قد كذّبته تقريبا التجربة الخماسية لجمهوريتنا السوفياتية. لكن هذا الاستنتاج لا أساس له من الصحة. إذ أن وجود دولة عمالية في بلد واحد، بلد متخلف وقفت في وجه العالم أجمع، يؤكد قوة البروليتاريا الجبارة التي بإمكانها، في البلدان الاخرى الاكثر تقدما والاكثر تحضرا ان تحقق المعجزات لكن بقاءنا سياسيا وعسكريا كدولة لم نتوصّل الى بعث مجتمع اشتراكي أو حتى الاقتراب منه... وطالما أن البورجوازية ماسكة بالسلطة في البلدان الاوروبية الاخرى نحن مجبرون، في النضال ضد الحصار الاقتصادي، ان نبحث على عقد اتفاقات مع العالم الرأسمالي، وبإمكاننا القول، في نفس الوقت، وبكل تأكيد أن هذه الاتفاقات بإمكانها (في أحسن الحالات) مساعدتنا على تضميد هذا الجرح الاقتصادي أو ذاك، أو على القيام بهذه

---

(25) مسائل اللينينية، ستالين ص 131 - 132.

الخطوة الى الأمام أو تلك. لكن النمو الحقيقي للاقتصاد الاشتراكي في روسيا لا يمكن أن يتحقق إلا بعد انتصار البروليتاريا في البلدان الاوروبية الأساسية».[26]

أصبح تروتسكي أكثر وقاحة من ذي قبل فكشف عن وجهه الحقيقي ولم يعد يبحث عن التخفّي وراء لينين إذ أعلن من البداية أن الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي لم تتحقق بعد وأن المجتمع السوفياتي لم يدن قيد أنملة من المجتمع الاشتراكي فوضع آمال التقدم الاقتصادي على البلدان الرأسمالية الأوروبية في انتظار انتصار البروليتاريا فيها. ترى ما عساه أن يقترح علينا لو لم تنتصر الثورة في هذه البلدان في الغد المنظور. إنه لم يترك أمام روسيا الثائرة وأمام دكتاتورية البروليتاريا غير طريق واحد هي طريق التفسّخ والعودة الى الوراء الى النظام الرأسمالي والانحناء أمام البورجوازية.

ليس من الغريب عليه هذا التفكير والسلوك السياسي إذا عرفنا أنه بدأ ينظّر لتفسخ الحزب البلشفي والدولة السوفياتية ويعلن عن تنبؤاته بالانهيار الحتمي لاقتصاد البلاد. لذلك بدأ يضع بعيد الثورة أسس الاستسلام والتراجع أمام البورجوازية.

د ـ التروتسكية ودكتاتورية البروليتاريا :

قبل أن نتعرف على نظرية تروتسكي لدكتاتورية البروليتاريا نستعرض أولا الفكرة اللينينية التي أثبتتها ثورة أكتوبر. يقول لينين بهذا الصدد :

«إن دكتاتورية البروليتاريا هي شكل خاص لتحالف طبقي بين البروليتاريا، طليعة الشغالين والشرائح العديدة غير البروليتارية من الشغالين (بورجوازية صغيرة أعراف صغار، فلاحون مثقفون. . . الخ) أو أغلب هذه الشرائح، تحالف موجّه ضد رأس المال، تحالف له هدف الاطاحة التامة برأس المال، وسحق مقاومة البورجوازية ومحاولات عودتها سحقا تاما، تحالف له هدف تشييد وتوطيد الاشتراكية بصورة نهائية. . .»[27]

لقد ظهرت السلطة السوفياتية، شكل دكتاتورية البروليتاريا، في روسيا على قاعدة التحالف بين البروليتاريا وجمهور الفلاحين بقيادة الاولى. ولم ينشأ هذا التحالف بصفة عفوية بل كان ثمرة نضال الحزب البلشفي طوال الفترة الفاصلة بين ثورة 1905 وثورة 1917 التي توصل فيها الى سحب الفلاحين من تأثير الاحزاب البورجوازية، فتحولوا بذلك من احتياطي للبورجوازية، الى احتياطي للطبقة العاملة.

---

(26) نفس المصدر ص 133 ـ 134.
(27) نفس المصدر ص 123.

انتصرت الثورة الاشتراكية في اكتوبر 1917 لأن البروليتاريا تمكنت من كسب هذا الاحتياطي الهائل الى جانبها ونسجت معه تحالفا متينا وتزعّمت نضاله في المدينة والريف بدون منازع.

إن من لم يفهم هذه الحقيقة لا يمكنه أن يفهم شيئا من الثورة ولا من دكتاتورية البروليتاريا.

كان التحالف بين العمال والفلاحين الضامن الاساسي لنجاح الثورة وسحق مقاومة القوى الرجعية والبورجوازية وعماد دكتاتورية البروليتاريا، وهو الضامن أيضا لصيانتها من خطر «العودة»، ولبناء الاشتراكية وتطويرها باستمرار والارتقاء بها الى درجات أعلى.

نأتي الان للنظرية التروتسكية حول دكتاتورية البروليتاريا، ونبدأ باستشهاد أورده ستالين في مؤلفه «مسائل اللينينية» من مقدمة كتبها تروتسكي عام 1922 لكتابه «ثورتنا» الصادر في 1905 :

«في الحقبة الفاصلة بين 9 جانفي وإضراب أكتوبر 1905 بالتحديد، تكونت لدى المؤلف المفاهيم حول التطور الثوري لروسيا التي تميزت تحت اسم نظرية «الثورة الدائمة». وهذا التميز العسير يعبر عن فكرة أن الثورة الروسية، التي تقف أمامها مباشرة أهداف بورجوازية لا يمكنها البقاء عند هذا الحد. إن الثورة لا يمكنها تحقيق أهدافها البورجوازية المباشرة إلا إذا حملت البروليتاريا الى السلطة. لكنها عندما تمسك بالسلطة لا تتوقف في الحدود البورجوازية للثورة. بالعكس، ومن أجل ضمان انتصارها ينبغي على الطليعة البروليتارية، وبالتحديد منذ الايام الاولى لهيمنتها، أن تقوم بهجومات عميقة لا فحسب على الملكية الاقطاعية بل وأيضا البورجوازية. وبهذه الصورة تدخل في صدامات عدائية لا فقط مع كل تجمعات البورجوازية التي كانت ساندتها في بداية نضالها الثوري ولكن أيضا مع الجماهير العريضة للفلاحين التي حملها سير الأحداث الى السلطة. إن التناقضات في وضع حكومة عمالية، في بلد متخلف أين تكون الاغلبية الساحقة من الشعب مكوّنة من فلاحين، يمكن أن تجد حلولا لها فقط على النطاق العالمي في مضمار الثورة البروليتارية العالمية (التسطير لستالين)» (28)

هذه آراء تروتسكي واضحة لا غبار عليها، فدكتاتورية البروليتاريا بالنسبة له صدام عدائي بين الطليعة البروليتارية والجماهير العريضة للفلاحين، بينما يؤكد لينين على أن قاعدتها هي تحالف العمال والشرائح الشغيلة من الفلاحين.

---

(28) نفس المصدر ص 127.

يتحدث تروتسكي عن «تناقضات الحكومة العمالية» في البلد المتخلف الناجمة عن تكوّن أغلبية الشعب من الفلاحين ـ في حين يؤكد لينين على دور البروليتاريا القيادي للشعب الشغيل.

إن تروتسكي لا يرى إمكانية أو أفقا لحل «تناقضات الحكومة العمالية في بلد متخلف إلا في نطاق الثورة العالمية » وخارج هذا النطاق تبقى «الحكومة العمالية» تتخبط في تناقضاتها وهي تترقب الثورة الاتية من أوروبا. وبالمقابل يعوّل لينين على الطاقات الثورية للبروليتاريا وعلى تحالفها المتين مع شغيلة المدينة والريف لتشييد المجتمع الجديد، المجتمع الاشتراكي.

ويمكن تلخيص مفهوم تروتسكي لدكتاتورية البروليتاريا على الصورة التي قدمها ستالين :

«إن دكتاتورية البروليتاريا هي السلطة التي تدخل في «صدامات عدائية» مع «الجماهير العريضة للفلاحين» والتي تبحث عن حلول «للتناقضات» في مضمار الثورة العالمية للبروليتاريا فقط» [28]

وهكذا يتضح أن نظرية «الثورة الدائمة» التروتسكية ليست استصغارا لدور الفلاحين في الثورة وحسب بل هي أيضا نفي لتحالف العمال والفلاحين وعدم ثقة في الطاقات الثورية للطبقة العاملة. لذلك بقي رأس تروتسكي ملويّا نحو الخارج طوال حياته، تجاه الثورة العالمية عندما كان يمثل نزعة ثورية بورجوازية صغيرة في صلب الطبقة العاملة ثم تجاه البورجوازية العالمية عندما فقد ثوريته.

هـ ـ مكانة ثورة أكتوبر لدى التروتسكية : «الثورة الدائمة» استراتيجيا مغامرة للثورة العالمية :

تكمن أهمية ثورة أكتوبر في بعدها العالمي، علاوة على أنها أطاحت بأعتى الرجعيات في أوروبا والعالم وركّزت لاول مرة في التاريخ سلطة الطبقة العاملة وفتحت عهد بناء الاشتراكية. وأكدت بالملموس أن الثورة المظفرة ممكنة الوقوع في بلد واحد حتى وإن كان متخلفا، وان الاشتراكية بإمكانها أن تشيّد في بلد واحد حتى وإن كان بلدا متخلفا أيضا.

إن الأهمية التاريخية لثورة أكتوبر تكمن في كونها مثّلت الخطوة الأولى للثورة العالمية وقاعدة تطورها المستقبلي، خلافا لمزاعم الانتهازيين التي تعتبرها مجرد ظاهرة محلية ولا تعد أنموذجا للبروليتاريا العالمية وحصروا اللينينية في النطاق الروسي وأظهروا أنفسهم أبطال

---

(28) نفس المصدر ص 127

الثورة العمالية. بينما تؤكد اللينينية أن الثورة المظفرة في بلد واحد ينبغي أن لا تكون كيانا في حدّ ذاته ولذاته، بل يجب أن تكون دافعا للثورة العالمية لانتصار البروليتاريا في البلدان الاخرى.

لم ير الانتهازيون بمختلف تلوناتهم الدفع الذي أعطته ثورة أكتوبر العظمى للثورة العالمية عندما وسعت وعمقت نضال البروليتاريا ضد رأس المال ونضال الشعوب والأمم المضطهدة المعادي للامبريالية كما أنهم لم يفهموا التحولات التي أحدثتها ثورة أكتوبر في العالم حيث أصبح التناقض بين الاشتراكية والرأسمالية احد التناقضات الاساسية الاربعة التي تطبع عصرنا: عصر الامبريالية والثورة الاشتراكية.

إن عدم فهم تروتسكي لاهمية ثورة أكتوبر وللسلطة التي انبثقت عنها وللدور التاريخي الذي أصبحت تلعبه على النطاق المحلي والعالمي، وهو الامر الذي أدى به الى الاستهتار باتفاقية صلح بريست ليتوفسكي معرّضا الجمهورية السوفياتية الفتية مجددا الى خطر العدوان الامبريالي، وهي في وضع لا يسمح لها بصدّه، فرفع شعار «لا حرب لا سلم». ثم ألهمه بوخارين زعيم كتلة «الشيوعيين اليساريين» بنظرية «الحرب الثورية الفورية ضد الامبريالية» التي جعل منها احدى مكوّنات «الثورة الدائمة» وأوجد لها مبرّرات في «التفسخ والانهيار المطلقين» للرأسمالية وفي إمكانية حدوث نصر سريع للثورة في البلدان الاوروبية وهو ما جعله يحصر دور الثورة، ثورة أكتوبر والسلطة المنبثقة عنها في الاسراع بالثورة العالمية وشنّ «حرب ثورية» فورية ضد النظام الرأسمالي العالمي بهدف الاطاحة به. في هذا السياق فقط يفهم تروتسكي مدلول ثورة أكتوبر.

إن رفع شعار «الحرب الثورية» ضد ألمانيا لمساعدة الثورة فيها وضد الامبريالية العالمية مباشرة بعد ثورة أكتوبر، يعدّ شعارا مغامرا ظاهريا ويخفي انهزامية واستسلاما أمام البورجوازية.

لقد أفصح بوخارين عن هذه الفكرة عندما أخذ الكلمة في المؤتمر السابع الاستثنائي للحزب البلشفي، متكلما باسم المعارضة وباسم تروتسكي نفسه، وأعلن:

«إننا نستطيع أن نتقبل نتيجة حرب فورية ضد الامبرياليين» [29]

وفي نفس الوقت أعلن أن رفض خوض حرب فورية يعني أنه:

«لا يوجد أي أمل على الاطلاق» [30]

---

(29) و(30) نضال الحزب البلشفي ضد الترتسكية - نخبة من المؤلفين برئاسة الاستاذ اغتاتيف، ترجمة أديب خضور، دار دمشق ص 22.

وفي المؤتمر أعلن تروتسكي أن أصحاب «الحرب الثورية» ضد ألمانيا قد اتخذوا أكثر المواقف صحة وكانت أغلبية الحزب ولينين العقبة الوحيدة أمام إعلان هذه الحرب وأعلن أنه :

«مهما ناورنا، ومهما اتبعنا من تكتيكات فإن الثورة الاوروبية هي وحدها، بالمعنى الكامل للكلمة بإمكانها أن تنقذنا» (31)

وردّ لينين على دعاوي تروتسكي والمعارضة حين أعلن بعيد ثورة أكتوبر :

«إن الحرب حتمية ويجب الاستعداد لها. . . إن التروتسكيين يخطئون عندما ينظرون الى شعار الحرب الثورية نظرة مجردة، متجاهلين ميزان القوى الطبقي داخل البلاد وعلى الصعيد العالمي» (32)

إن شعار الحرب الثورية الفورية هو شعار يساري مغامر لا يأخذ بعين الاعتبار واقع الدولة السوفياتية وواقع البلاد المرهقة بالحرب والحصار كما أنه لم يأخذ بعين الاعتبار الحالة الدقيقة التي عليها قوى الثورة العالمية، وتطور مختلف التناقضات التي تحكم العصر.

لم يرفض لينين الحرب الثورية في المطلق بل ربط القبول بها أو رفضها بمدى خدمتها للثورة فأكد خلال ثورة 1905 :

«إن الخبرة التاريخية أثبتت أن الحروب الثورية في ظل الرأسمالية ليست فقط ممكنة، بل في الحقيقة اتجاه إيجابي ولهذا فإنه على البروليتاريا أن لا تتجنب الاشتراك في مثل هذه الحروب وينبغي عليها اعتبارها حروبا عادلة» (33)

وبذلك سحب البساط من تحت أقدام التروتسكيين وكشف مزايدتهم اللفظية بالحرب الثورية. وخاضت دولة دكتاتورية البروليتاريا حروبا من هذا الطراز ضد الامبريالية الألمانية وحلفائها بعيد ثورة أكتوبر ثم ضدّ النازية في الحرب العالمية الثانية، واستعملت قوتها العسكرية لمساعدة الشعوب في سبيل تحرّرها وانعتاقها من ربقة حاكميها مثال الديمقراطيات الشعبية في أوروبا الشرقية.

لم يرفض لينين بصفة مطلقة الحرب الثـورية لكنه رفض «دفع» الثورة من الخارج، وشجب فكرة تصديرها وأكد على أنها يجب أن تكون نتاج تفاقم التناقضات الداخلية للمجتمع التي تسير نحو حلّ ثوري.

---

(31) نفس المصدر ص 17.
(32) نفس المصدر ص 25.
(33) نفس المصدر ص 24.

ورفض بشكل قطعي زرعها عن طريق الحرب واعتبـر أن كل فكرة تدعو لذلك تعد في تناقض كلي مع الماركسية يقول لينين :

«إن محاولات فرض الاشتراكية بقوة السلاح على الاقطار الاخرى ترقى الى مستوى الانفصال النهائي عن النظرية الماركسية كما أنها إنكار مطلق لقوانين نضال البروليتاريا الطبقي» (34)

ويضـيف في مكان آخر :

«لا نستطيع إسقاطهم من الخارج عن طريق الحرب. ولكننا نستطيع من الخارج أن نسرّع تمزقهم الداخلي وقد حققنا ذلك بشكل غير محدود بواسطة الثورة الروسية البروليتارية» (35)

وعلى هذا الاساس اعتبر أن مسألة :

«حمايـة الجمهورية التي بدأت على الفور الثورة الاشتراكية هي القضية الأكثر أهمية بالنسبة لنا وللحركة الاشتراكية العالمية» (36).

أما تـروتسكي فقد استهان بقضية بناء الاشتراكية وقبل وضع مصير السلطة السوفياتية في خطر عندما أعلن الحرب الثورية ضد العالم الرأسمالي من أجل الاسراع بالثورة العالمية. وبهذه الصورة تحوّل شعار «الحرب الثورية» الى هوس لدى التروتسكيين، و«الشيوعيين اليساريين» واستراتيجية مغامرية ومثيرة للحرب.

مرّ تروتسكي وأتباعه من استنقاص أهمية ثورة أكتوبر فحصروها في نطاق ضيّق كظاهرة محلية روسية أو كمجرد فتيل للثورة العالمية لا أكثر ولا أقل. ووصل بهم الامر في النهاية الى موقف مغامري استفزازي يدعو الى «الحرب الثورية الفورية» ضد ألمانيا وبقية العالم الرأسمالي لاعطاء دفع للثورة العالمية والاسراع بها» وسجلوا بذلك قطيعة مع الماركسية اللينينية وعرّضوا بلد دكتاتورية البروليتاريا الاول الى الخطر والعدوان.

III. الترتسكية معادية للثورة على طول الخط :

كنا تعرضنا للتعريف بتروتسكي ونظريته وممارسته السياسية وبيّنا معارضته الكاملة للماركسية اللينينية ونختم مجادلتنا للتروتسكية باستشهاد لستالين نعتقد أنه كاف لحوصلة

(34) نفس المصدر ص 31.
(35) نفس المصدر ص 31.
(36) نفس المصدر ص 20.

الحكم الجوهري على التروتسكية وموقف الماركسية اللينينية حيالها. يقول ستالين:
**تعتقد فئة من البلاشفة أن التروتسكية جزء من الشيوعية، إلا أنها والحق يقال تخطىء وتقوم بحماقات عديدة وأحيانا معادية للسوفيات أيضا. ولكنها مع ذلك تمثل جزءا من الشيوعية. وهذا يعني نوعا من الليبرالية حيال التروتسكيين وأصحاب الفكر التروتسكي.
ومن البديهي أن مثل هذا الرأي حول التروتسكية خاطىء تمام الخطأ ومضرّ، إن التروتسكية في الواقع ومنذ زمن بعيد توقفت على أن تكون جزءا من الشيوعية، وهي في الواقع فريق طلائعي للبورجوازية المعادية للثورة، التي تناضل ضد الشيوعية وضد سلطة السوفيات وبناء الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي. من أعطى للبورجوازية المعادية للثورة سلاحا روحانيا وإيديولوجيا ضد البلشفية في قالب أطروحات حول استحالة بناء الاشتراكية التام في بلدنا وحول التفسّخ الحتمي للبلاشفة... هذا السلاح أعطته التروتسكية وليس من قبيل الصدفة أن تستنجد كل التجمعات المعادية للسوفيات، في الاتحاد السوفياتي، في محاولاتها لتبرير صراعها ضد سلطة السوفيات بالاطروحة التروتسكية المعروفة جيدا حول استحالة البناء الكامل للاشتراكية في بلدنا وحول التفسّخ الحتمي لسلطة السوفيات والعودة المحتملة للرأسمالية.
من ذا الذي أعطى بورجوازية الاتحاد السوفياتي المعادية للثورة سلاحا تكتيكيا في شكل أعمال مكشوفة ضد سلطة السوفيات؟ هذا السلاح أعطاها إياه التروتسكيون عندما حاولوا تنظيم مظاهرة معادية للسوفيات في موسكو ولينينغراد، في 7 نوفمبر 1927 وهي حقيقة واقعة. إن مظاهرات التروتسكيين المعادية للسوفيات أعادت الشجاعة للبورجوازية وأعطت إشارة الانطلاق للتخريب الذي قام به الاخصائيون البورجوازيون.
من الذي أعطى البورجوازية المعادية للثورة سلاحا تنظيميا تمثل في بعث تنظيمات سرية معادية للسوفيات؟ هذا السلاح أعطاها إياه التروتسكيون عندما نظموا فريقهم الخاص غير القانوني المعادي للبلشفية. وهي حقيقة واقعة أن العمل السري للتروتسكيين المعادي للسوفيات سهل التجميع العضوي للفرق المعادية للسوفيات في الاتحاد السوفياتي.
إن التروتسكية هي فريق طلائعي للبورجوازية المعادية للثورة. وعلى هذا الاساس فإن الليبرالية إزاء التروتسكية، حتى المهزومة والمتسترة، تعدّ حماقة تتاخم الاجرام والخيانة تجاد الطبقة العاملة»** (37)

(37) مسائل اللينينية، ستالين ص 545 ـ 546.

الجزء الثاني

«الشيوعيون الثوريون» في تونس

I «الشيوعيون الثوريون» في تونس (مجموعة نصيرة للأممية الرابعة التروتسكية)

تقديم :

سوف نقسم هذا الفصل الى أربعة أجزاء وهي كالآتي :

1 ـ «الشيوعيون الثوريون» ونظرية الحزب

2 ـ «الشيوعيون الثوريون» وطبيعة الثورة القادمة

3 ـ «الشيوعيون الثوريون» والقوى المحركة للثورة

4 ـ «الشيوعيون الثوريون» والتحريفية الحديثة

ونحاول من خلالها الرد على أهم المقولات النظرية والسياسية «للشيوعيين الثوريين» لقد اعتمدنا الاعداد السبعة من «الشرارة» وعلى عددين من مجلة «المطرقة» وعلى كراس بعنوان «مسائل النهج الثوري» (مناقشة لأطروحات رابطة العمل الشيوعي السورية) أصدرها المكتب التنفيذي للتجمع الشيوعي الثوري (لبنان)، وأخيرا على نص نظري يروجه الجماعة بعنوان «المركزية الديمقراطية والمركزية البيروقراطية» لغسان ماجد.

1 ـ «الشيوعيون الثوريون» ونظرية الحزب :

1 ـ حول مسألة تأسيس الحزب

يخضع بعث حزب شيوعي للطبقة العاملة الى تخطيط دقيق يضبطه الشيوعيون (الماركسيون اللينينيون لأنفسهم يرتكز على ثلاثة محاور اساسية كان وضحها لينين في احدى رسائله الى هيئة تحرير الايسكرا (المجلد الرابع) اعتمدها الشيوعيون الحقيقيون في صراعهم الايديولوجي ضد الشعبوية والفوضوية وهذه المحاور هي :

أ ـ الوحدة الايديولوجية بين الشيوعيين الحقيقيين مهما كان عددهم

ب ـ دعم هذه الوحدة ببرنامج عام

ج ـ بناء الاطار التنظيمي على اساس مبادىء المركزية الديمقراطية البروليتارية

وتحقيق هذه الاهداف يشترط توفّر نواة صلبة موحدة كأروع ما تكون الوحدة ـ على حد تعبير لينين ـ تصدر دورية تكون القائد الفعلي لعملية انجاز هذا المشروع التاريخي للطبقة العاملة، كما يشترط توفر حد ادنى من الروابط بالطلائع العمالية والشعبية، وهذا يعني ضرورة ارساء نشاط على النطاق الوطني للحزب المنشود،

لنتعرف على آراء الجماعة التروتسكية في هذا الشأن :

أولا : لا يملك «الشيوعيون الثوريون» مخططا واضحا ودقيقا لعملية تأسيس الحزب، يقولون : «**اننا لا ندعي معرفة سبل بناء هذا الحزب بصورة دقيقة الى الآن**»[38].

وهو ما يجعلهم يسيرون والحركة الشعبوية على نفس النهج العفوي والذيلي حيال الحركة الجماهيرية كانت الحركة الشعبوية رفعت هي الأخرى شعار بعث حزب للطبقة العاملة منذ نشأتها الا انها اندثرت (فصائلها الاساسية) ولم توفر ادنى الشروط الضرورية لذلك.

وغياب التخطيط الدقيق والملموس كان من بين الاسباب الرئيسية التي ادت بها الى مثل هذا المآل وتروتسكيونا عاودهم الحنين الى رفع نفس الشعارات مع بعض الاختلافات في الارضية الايديولوجية والسياسية.

وغياب التخطيط لا يعود الى وجود انحراف عفوي كالذي طبع مشروع الحركة الشعبوية بل يعود الى الفكر الذي قاد ويقود «الشيوعيين الثوريين».

ثانيا : وضع لينين الوحدة الايديولوجية بين الشيوعيين الحقيين في المقام الاول باعتبارها القاعدة الثابتة التي يقوم عليها النشاط السياسي والعملي، مع اعتقاده انها غير كافية

(38) الشرارة عدد 3 ـ ص 8

لوحدها لذلك اضاف لها شرطين (البرنامج والمبادىء التنظيمية)، في حين يرى جماعة «الشرارة» :

«اننا نعي جيدا ان التنظيم او الحزب الثوري يقوم على برنامج قبل كل شيء»(39)

وهذا يعني انهم يضعون «السياسي في مركز القيادة» اي ان الخلافات الايديولوجية وحتى المذهبية ليست حاجزا امام الانتماء لحزب شيوعي ماركسي لينيني واحد، اذ يكفي ان نعلن انتماءنا للفكر الماركسي وان نكون على اتفاق حول برنامج عام واحد.

وليس غريبا مثل هذا التفكير المنافي للينينية على «الشيوعيين الثوريين» والكل يعرف انهم انضموا الى «التجمع الاشتراكي» توهما منهم لدعم «وحدة اليسار» و«توفير شروط بناء حزب ماركسي ثوري» ثم انسلخوا عنه بعد مدة واصدروا بيانا توضيحيا نشرته مجلة الموقف يدعون فيه انهم خدعوا في اهداف «التجمع» ونواياه الحقيقية وطبيعته، لكن هل يخدع «شيوعيون ثوريون» في «التجمع» لو وضعوا الايديولوجيا في مركز الصدارة ؟ وهل كان من الممكن ان يخدعوا لو كان في برنامجهم ما يميزهم عن السياسة الاصلاحية التي يتبناها «التجمع» ؟

وتظهر نظرتهم التجمعية في طرحهم لمهمة تأسيس الحزب عندما جعلوها مهمة «اليسار الماركسي» بمختلف فروعه بقطع النظر عن خلافاتها الايديولوجية والنظرية والسياسية، وافصحوا عن ذلك في شرح منهجية تقييم تجربة «اليسار».

«وفي منهجية التقييم نقول اننا باعتبارنا تيارا نظريا وسياسيا يقف على طرف الاختلاف على نقاط استراتيجية هامة مع التيارات اليسارية الاخرى فسوف لن نبسط موطن العلل الى درجة اعتبار ازمة اليسار ناتجة عن عدم تبنيهم لنظرية الثورة الدائمة او لأطروحة الانحطاط البيروقراطي في الاتحاد السوفياتي لتصبح الوصفة مبتذلة ويصبح التيار التروتسكي حبل النجاة، وندعو الجميع للاعتصام به، ان هذا الجانب على اهمية (وسنتناوله بالتحليل)، لن يكون الخيط الموجه لتقييمنا والحال ان هناك أسبابا اعمق للأزمة»(40).

وفي مكان آخر نقرأ لهم :

«وفي ما يخصنا فإننا واعوان بأن كل هذه الصعوبات التي يعاني منها اليسار الثوري لن تحل بين عشية وضحاها، ونحن كذلك لا ندعي اننا متجاوزون لهذه الصعوبات وان

(39) «المطرقة» عدد 2 ـ ص 48

(40) نفس المصدر السابق ـ ص 47 ـ 48

تجاوزها سيكون نتاج سيرورة معقدة تكون نتيجتها الايجابية بالضرورة رهينة عزيمة هذا اليسار»[41].

يظهر من خلال هذين الاستشهادين ان تروتسكيينا لا يولون اهمية تذكر للجوهر الطبقي الذي يميز حزبهم المنشود، اي اساسه الايديولوجي والنظري وحتى السياسي (من الوجهة الاستراتيجية) فتجردوا من «الخيط الموجه» في تقييمهم لتجربة «اليسار الثوري» اي من القاعدة الايديولوجية والنظرية التي تقودهم ـ وهم يعلّمون اليسار التواضع ـ حاولوا فتح الطريق امام الفصائل الاخرى للاقدام على الخطوة «الشجاعة» التي اقدموا عليها.

ولا يمكن لهذه الخطوة ان تكون ايجابية ـ حسب اعتقادهم ـ الا اذا توفرت العزيمة «الصادقة» لدى كل الفصائل، انهم لا يطلبون منها «شيئا غير التنظيم» ولا شيء آخر غير التنظيم رغم معرفتهم بالخلافات الجوهرية الايديولوجية والنظرية والسياسية وحتى العملية التي تفرق بينها.

ان التوجه لليسار على هذا النحو يعبر عادة عن شعور ارادي وبدائي لدى مناضلين محدودي الوعي لا يقدرون على التمييز بين الاطروحات المتقابلة ولا على فهم البعد الايديولوجي لهذا الصراع، لكن الامر يختلف لدى الجماعة فقد اخذوا عن معلمهم تروتسكي احتراف الوفاق الطبقي والسعي الدائم لبث الغموض والشك حول حزب الطبقة العاملة وتمرير ايديولوجيا وسياسية معادية للشيوعية، وتمييع بنائه التنظيمي وجعله مفتوحا للعناصر المترددة والمشبوهة، وكان هذا هدف تروتسكي القار طوال حياته السياسية، ووجد في بلادنا من يحمل مشعله ـ جماعة «الشيوعيين الثوريين» ـ عندما أسقطوا من مخطط تأسيس الحزب شرطية الوحدة الايديولوجية محاولة منهم جلب مختلف الفصائل على قاعدة تجد فيها كل النظريات التحريفية : التروتسكية والغيفارية والماوية وحتى الخروتشوفية ـ في حدود معينة مكانا الى جانب الماركسية اللينينية، ولا بأس في ان تجد بعض النظريات والمقولات الخاطئة التي كانت تدافع عنها روزا لوكسمبورغ ايام كانت نصف منشفية في مصاف المراجع النظرية من جملة كلاسيكيي الشيوعية،

انهم يعملون على بعث حزب فضفاض لا لون له سوى مجرد تصريح بانتمائه للفكر الشيوعي، وفي نفس الوقت يغلفون توفيقيتهم بالدعوة الى صراع «لا هوادة فيه» يقول الجماعة :

«ان نواة الحزب الثوري لن تتشكل بصفة ميكانيكية عن طريق تجميع لعديد

---

(41) «الشرارة عدد 3 ـ ص 8

المكونات التي هي اليوم ابعد من ان تكون متجانسة حتى تتمكن من الاسهام في بناء شيء متماسك او بالحاق الكل لاحدى المجموعات الموجودة اليوم بشكلها ومحتواها السياسي الحالي، ان نواة الحزب الثوري ستكون نتاجا لتجاوز واعادة تركيب لمختلف هذه المجموعات وبالتأكيد لمجموعتنا التي لم نعتبرها يوما هدفا في حد ذاتها.

لذلك فإننا لا نقترح البتة تجميع مختلف هذه المجموعات والتيارات الموجودة اليوم في تشكيلة سياسية واحدة ولكن على العكس فإننا نقترح الصراع دون هوادة بين هذه المجموعات لأنه وحده كفيل بتوضيح الافكار وتركيز القناعات ودفع المناضلين الأكثر حماسا وجدية واخلاصا للقضية البروليتارية ولكن هذا الصراع لا ينفي البتة العمل المشترك الذي سيمكننا من التدخل الفعلي في الساحة السياسية والالتحاق بالطليعة العمالية، ذلك انه وفي ظل البحث وتحقيق العمل المشترك دون خلفية انتهازية ومن منطلقات مبدئية وبالتصادم مع العوائق الحقيقية للعمل السياسي سيجري الصراع الحقيقي بيننا داخل اليسار الثوري نفسه والا فإننا سننغمس في المجادلات المجردة والعقيمة البعيدة عن الصراع الطبقي الملموس وسنتحول الى مجرد فرق متصارعة فيما بينها»[42].

وكسائر الانتهازيين اغرقنا التروتسكيون في بحر من جمل لا تنتهي وتصريحات مبدئية تبدو صارمة غاية الصرامة. يبدأ الجماعة بالقول ان «نواة الحزب الثوري» لن تتشكل بصفة ميكانيكية عن طريق تجميع لعديد من المكونات وهو يعني رفض التوفيقية ولمّ الشمل. الا ان هذا الرفض لم يكن مبنيا على ضرورة التمايز الايديولوجي بل كانوا يطمحون الى اعادة غربلة المجموعات «اليسارية» من العناصر «المتحجرة» و«المتشبثة بالماضي» والربط بالعناصر «الأكثر حماسا وجدية واخلاصا للقضية البروليتارية» على اساس «الصراع دون هوادة بين هذه المجموعات» لكن في اطار «التصادم مع العوائق الحقيقية للعمل السياسي» ويصلون في النهاية الى بيت القصيد الى دعوة «اليسار الثوري» ان لا ينغمس «في المجادلات المجردة والعقيمة البعيدة عن الصراع الطبقي» واذا نزعنا المزايدة اللفظية واللف والدوران يتضح ان الصراع الايديولوجي والنظري حول اهم القضايا يعد في عرف الجماعة عقيما ولا يعد مكونة من مكونات الصراع الطبقي المباشرة باعتباره لا يحدد في عرفهم الموقع الطبقي الذي ينحاز اليه كل فريق من هذا «اليسار الثوري». ان التقليل من اهمية الايديولوجيا والنظرية بأي درجة كانت يعد تضييعا للبوصلة وضربا من ضروب بث الضباب والغموض امام الطبقة العاملة، وقياما بدور عميل للبورجوازية في صفوف العمال. فما بالك بالذين يحملون

---

(42) نفس المصدر السابق - ص 8 - 9

ايديولوجية ونظرية معادية للشيوعية كما هو الحال بالنسبة «للشيوعيين الثوريين» الذين يروجون التروتسكية ويحسبونها زورا على اللينينية والبلشفية وهي براء منها.

وخلاصة القول ان احفاد تروتسكي بقوا اوفياء لنظرياته وممارساته فتخلوا عن الجانب الايديولوجي في مشروع تأسيس الحزب محاولة منهم لتجميع «اليسار الثوري» على اساس لا مبدئي وتمرير التروتسكية على انها احدى مكونات الفكر التقدمي او فكر الطبقة العاملة.

وثالثا : ان التروتسكيين على غرار الشعبويين يحلمون ببعث حزب من «تحت» اي انهم يعتبرون ان احد الشروط الاساسية لوجوده هو «تحقيق الالتحام»، وهو ما يتعارض كليا مع لينين الذي اكد على ان الحزب يبنى من «فوق» وذلك لأنه يعطي المكانة الأولى للخط الايديولوجي والبرنامج ولوحدة الشيوعيين حوله ثم يأتي في مرحلة ثانية دور البناء والتعزيز يقول الجماعة :

«**ان نفرق بين بناء التنظيم، وبناء الحزب الثوري الذي يشترط بالاساس أستيعابه للطليعة العمالية، وانغراسه داخل الطبقة العاملة، هذا الشرط الذي يشترط في منظمة ثورية، فإن استراتيجية بناء الحزب الثوري ترتهن بالكامل بالقدرة على تحقيق استيعاب الطليعة العمالية وتحقيق الانغراس العمالي المطلوب**» [43].

انهم يضعون «الالتحام» شرطا اساسيا لتأسيس الحزب وبه يفسرون كل شيء : النجاحات، النكسات، وبه يفسرون فشل «اليسار الثوري» تماما كـ «التيارات البورجوازية وحتى التيار الديني» التي تعتبر ان «أزمة اليسار» تعود الى «**عجزه عن الالتحام بحركة الواقع وبالتالي عن بناء قاعدة جماهيرية**»[44]، الا ان الفرق بينهم وبين «التيارات البورجوازية» و«التيار الديني» هو انها اعتمدت عدم قدرة «اليسار» على التحول الى حركة سياسية ملتحمة بالجماهير لتربط رأسا هذا الفشل بإفلاس الايديولوجيا والنظرية الماركسية و«يسارية» و«طفولية» البرنامج السياسي الذي اعتبرته يحمل احلاما رومنسية للشباب حول العدالة والحرية والديمقراطية والاشتراكية بينما «جماعتنا» بروحهم التوفيقية لا يريدون الذهاب جهرة الى الهدف كي يظهروا في موقع المدافع عن الماركسية اللينينية هذا أولا.

وثانيا لكي يتمكنوا من تمرير بضاعتهم في السوق «المتمركسة» «لليسار» الذي ولسوء طالعهم لا يقبل على بضاعتهم. وثالثا فهم على غرار معلمهم تروتسكي يحلمون ببعث حزب «مترامي الأطراف» جماهيري «لا كتلة» (العبارة لتروتسكي وهو ينتقد لينين في 1912 لما رفض الوحدة مع التصفويين والمناشفة).

---

(43) المطرقة عدد 2 ـ ص 76

(44) نفس العدد ـ ص 48

ان التروتسكيين على غرار الشعبويين لا يفرقون بين مستلزمات مهمة تأسيس الحزب ومهمة بنائه واختزلوا المهمتين في واحدة: «البناء».

تعتبر المهمتان وثيقتي الارتباط بحيث تمثل الأولى اساس الثانية، لكنهما تختلفان الواحدة عن الأخرى اذ تعنى الأولى بالتأسيس الايديولوجي والنظري والبرنامجي والثانية تهتم بكسب الطليعة العمالية للبرنامج وتوحيد الطبقة العاملة والشعب حول الحزب.

ومما سبق يتضح ان نظرية تأسيس الحزب عند الجماعة تتعارض كليا والماركسية اللينينية وتستمد اسسها من الفوضوية التي عليها النظرية التروتسكية، ويضيف عليها «الشيوعيون الثوريون» امراض الحركة الشعبوية في بلادنا.

2 ـ حول عضوية الحزب :

كنا تعرضنا في الجزء الأول الى الصراع الذي قاده لينين في 1903 حول الفقرة الاولى من النظام الداخلي للحزب المتعلقة بالعضوية، ضد المناشفة وضد تروتسكي الذي التحق بهم فيما بعد. وكنا رأينا كيف ظهر عمق الخلاف وابعاده الطبقية مع تطور الصراع، ورأينا كيف كانت الفقرة الأولى في حقيقة الامر الى جانب بقية الفقرات تعبر عن تصورين متناقضين كليا لطبيعة حزب البروليتاريا : الأولى (لينين والبلاشفة) يريد ان يجعل منه كلا متلاحما طليعيا منظما صلبا وكفاحيا، قادرا على قيادة الطبقة العاملة الى النصر النهائي، بينما الثاني (المناشفة ثم تروتسكي) يريده ان يكون فضفاضا لا حدود له، يحصل على العضوية فيه كل من يرى في نفسه الاهلية وكل مضرب وكل طالب ومثقف «اشتراكي ـ ديمقراطي» ان يعلن انتماءه له وان يتكلم باسمه، وبمعنى آخر يتحول الحزب الى منتدى يجمع كل الملل والنحل، اي حزب على قياس البورجوازية الصغيرة تستعمله لتكبيل الطبقة العاملة وابعادها عن اهدافها الحقيقية.

ومنذ ذلك التاريخ (1903) ـ وفي الحقيقة منذ 1901 ـ بدأ الانقسام داخل الحركة الشيوعية (الاشتراكية الديمقراطية بالتسمية القديمة) بين النظرية اللينينية للحزب وبين النظرية الانتهازية التي اصبحت تسمى ـ بعد افلاس الاممية الثانية ـ الاشتراكية الديمقراطية.

الى جانب اي النظريتين يقف «الشيوعيون الثوريون» ؟ نقرأ لهم :

« . . . كثيرا ما يتصور البعض ان حدود التنظيم الثوري ترسمها خلاياه التي تضم الاعضاء ثم بعد التنظيم نجد مباشرة الحركة الجماهيرية. ان هذا تصور جامد قد يحكم على التنظيم بالعزلة فلنوضح ذلك. بادىء ذي بدء ان حدود التنظيم التي رسمها لينين سنة 1903 في سجاله مع المناشفة تتمثل في ان لينين يدعو الى ان يكون المناضل عضوا وليس

منخرطا. عضوا اي منظما داخل خلية يمارس من داخل الهيكل الذي تمثل الوحدة الوظيفية للتنظيم الثوري نشاطه وليس اذا منخرطا ماديا او معنويا مثل الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية. ان خصائص التنظيم اللينيني صحيحة كل الصحة وهي من المبادىء التي نعمل بها نحن الشيوعيون الثوريون ونتمثل بها. ولكن يجب ان نلاحظ ان هذا التصور قد اسيء فهمه العديد من المرات محولا هذا التنظيم الى هيكل معزول. ان هذه العزلة مردها المعادلة التي غالبا ما نضعها (منظم او غير منظم، عضو او غير عضو،) ونضعهم في سلة واحدة (اي سلة اللامنتظمين) الاشخاص العاديين والاصدقاء او حتى المتعاطفين الذين ليس لهم الاستعداد الادبي للتنظيم وهذا هو الخطأ.. من الضروري ان نعي انه مهما عملنا فإن عدد الاعضاء المنتمين للتنظيم سيكون بالمقارنة مع عدد الجماهير (انظر الحزب البلشفي الذي كان لا يضم سنة 1917 سوى 250 الف الى 300 الف عضوا) ضعيفا وهذا ناتج عما يتطلبه الانتماء الى تنظيم سياسي من نضالية وحماس ثوري وخاصة في بلدان مثل بلدنا حيث النشاط ضمن تنظيم يعتبر جريمة سياسية طبعا هذا يجب ان لا يثنينا عن ضرورة كسب المناضلين الثوريين الى صفوفنا ولكن يجب ان نعي ان العديد من الصلات والمتعاطفين مع التنظيم الثوري واصدقائه (عدد كثير وحتى اكثر من الاعضاء) ليس في نفس السلة التي نضع فيها الاشخاص العاديين هؤلاء قد ينتظرون من التنظيم الثوري اجابات في الاوقات الحرجة وقد يعينون التنظيم شتى انواع الاعانات تنقل، مالية، عمل دعائي، تحريضي، توزيع.. الخ، يجب ان نحافظ على تلك الصلات، يجب الا «نحسم» فيهم ونرميهم بالتخاذل اذا لم ينتموا للتنظيم الثوري ونحاول طبعا قدر الامكان ان نخلق قنوات تربطنا بهم، هؤلاء هم الاحزمة الواسعة والوسط الذي يعيش فيه التنظيم الثوري - ومنه يكسب عناصر القوة والحماية.

سنورد هذا المثال، فرع الاممية الرابعة في بلجيكا، حزب العمال الاشتراكي، وهو حزب ككل فروعنا منظم على الطريقة اللينينية (اعضاء منظمون في خلايا، مكتب تنفيذي، لجنة مركزية..) وفي الاشهر الاخيرة قرر الحزب خوض تجربة طريفة في ميدان التنظيم ذلك انه وامام عدد المتعاطفين والاصدقاء والصلات التي يمتلكها الحزب وامام الوضوح لدى عضوية الحزب، انه من جهة لا يمكن لهؤلاء تجاوز هذا الحد من النضالية (حدود التعاطف والصداقة) واهميتهم العددية من جهة اخرى، قرر الحزب تكوين منخرطين، اي عمالا حاملين لبطاقة الحزب (على طريقة الاحزاب الاشتراكية - الديمقراطية) بدون ان يكونوا منظمين في خلايا (يجب ان نعلم ان فرعنا ينشط في القانونية في بلد تسوده الديمقراطية البورجوازية) وهؤلاء المنخرطين يشاركون في الحملة الانتخابية ويكسبون

الانصار ويساعدون الحزب ويعينونه تقنيا وماليا (وضع اللافتات والصور او تركيب جهاز الكهرباء خلال المهرجانات والتظاهرات التي ينظمها الحزب وهي اشياء بسيطة ولكن هامة) ويشاركون في المسيرات ويوزعون نداءاته ويساهم العديد منهم في بيع جريدته وتوزيعها طبعا لا تدخل هذه التجربة في عداد التكيف مع التصور التنظيمي للاحزاب الاشتراكية الديمقراطية ذلك ان الفرع البلجيكي يمارس الشكل التنظيمي اللينيني المشكل من الاعضاء الذين يساهمون في العمل الداخلي للحزب ويشتركون في صنع القرار السياسي عبر الهيئات والمؤتمرات، وهو شكل تنظيمي يحاول تأطير المتعاطفين والصلات وهو شكل المنخرطين الذين ينظم لهم الحزب اجتماعات دورية للنقاش والتشاور، وهم لا يشتركون في صنع القرار السياسي. وقد قدر الحزب خلال الاشهر المنصرمة على كسب مئات المنخرطين الى صفوفه بدون تقليد اعمى لأي تجربة من التجارب، يجب ان نستفيد من هذا. لا يمكن لأي تنظيم ثوري منظم على الطراز اللينيني ان يقوم بمحض مجهود اعضائه فقط بكل الاعمال الجماهيرية، يجب ان يعتمد على احزمة المتعاطفين والاصدقاء والصلات ليس اعتمادا انتهازيا، بل اعتمادا يراعي فيه محدودية هؤلاء ويرفع من مستوى مساهمتهم في العمل السياسي. هذا بدون ان يسقط في اي نوع من انواع التسيب والتكيف الانتهازي مع الاشكال التنظيمية اللينينية. ان الحد من حالة الميوعة او التسيب التنظيميين تقتضي من جهة تقديم الاطر المناسبة لكل مستويات الاستعداد العملي والنظري والسياسي لدى المناضلين ومن جهة تدعيم المنظمة المركزية اللينينية التي يجب ان تقوى باستمرار»[45].

أوردنا هذا الاستشهاد المطول بهدف اطلاعَ القراء على مواقف الجماعة كاملة، وتمكينهم من الالمام بجميع جوانبها. ان المسألة التي يطرحها «الشيوعيون الثوريون» تتعلق في الواقع بالفقرة الاولى من النظام الداخلي للحزب الاشتراكي الديمقراطي الروسي التي اصبحت فيما بعد كما اشرنا الى ذلك اعلاه تفرق ما بين الاحزاب الشيوعية الحقيقية والاحزاب الانتهازية. ولم يخف هذا الامر على جماعة «الشرارة» فأكدوا في مطلع الفقرة على انهم منحازون الى جانب لينين والبلاشفة وهم يزعمون ان يكون حزبهم المنشود من «الطراز اللينيني» وتبرأوا من المناشفة الا انهم نسوا ان معلمهم تروتسكي انضم اليهم بعيد سنة 1903 وكان من الذين وقفوا ضد لينين في نظرية الحزب وبقي كذلك الى آخر حياته وادعوا في نفس الوقت انهم يطبقون اللينينية بصورة خلاقة وشنوا «حربا» ضد الجمود العقائدي كي يمهدوا الطريق لبسط نظريتهم وافكارهم الحقيقية حول نظرية الحزب فوجدوا مهربا لم يتفطن

---

(45) «الشرارة» عدد 4 - ص 42 - 43

له معلمهم، يتمثل في افتعال فرق بين الانخراط في الحزب والعضوية فيه. وعلى هذا الاساس اعادوا قراءتهم للفقرة الأولى من النظام الداخلي مؤكدين ان لينين كان يقصد بها اعضاء الخلايا القاعدية ولا يقصد جمهور المنخرطين الذين ليسوا بالضرورة منظمين في هياكل ودعموا رأيهم هذا بمراجعة ثانية حول مكانة الخلية بالنسبة للحزب اللينيني.

ان الخلية هي الهيكل القاعدي للحزب تربط بينه وبين الجماهير في مؤسسة او حي او قطاع... الخ الا ان الجماعة وخوفا من «الانعزال» اعتبروا ان الخلية لا يمكن ان تكون الهيكل القاعدي للحزب وعوضوها بعامة «المنخرطين» المنظمين وغير المنظمين وبعبارة اخرى فإن قاعدة الحزب مفتوحة ودون ضوابط تنظيمية وهكذا التقوا مع مارتوف والمناشفة الذين كانوا يطالبون بأن يبقى الانتماء للحزب مفتوحا ولكل من يرى في نفسه الكفاءة ان يتكلم باسمه ولكل مضرب يعلن انتماءه «للاشتراكية الديمقراطية» كما انهم اتبعوا نصائح تروتسكي الداعية الى ضرورة ترك الحزب مفتوحا للشبان ومطالبة الاشتراكيين الديمقراطيين المنتظمين بهذه الصورة او تلك «ان يعلنوا انتماءهم اليه».

ان المسألة كل المسألة تكمن في السؤال هل نترك قاعدة الحزب مفتوحة بدون ضوابط ام من الواجب ان تكون محكمة التنظيم لا تضم سوى اعضاء الحزب (اي المنخرطين فيه) المنظمين بالضرورة في خلايا او لجان... واجابة «الشيوعيين الثوريين» والمناشفة وتروتسكي هي ان تبقى مفتوحة فضفاضة لا تخضع لضوابط، ويجيب لينين والبلاشفة وستالين والاممية الثالثة والاحزاب (الماركسية اللينينية) بضرورة تنظيمها المحكم طبقا للفقرة الأولى للنظام الداخلي التي اقترحها لينين ودافع عنها.

ونحن لا نتجنى عليهم عندما نقول انهم معادون للينينية فقد اقتبسوا فكرة التنظيم من الفرع البلجيكي للاممية الرابعة والتي نقلها بدوره عن الاحزاب الاشتراكية و«الاشتراكية الديمقراطية» الاصلاحية وحاولوا اضفاء صبغة مبدئية عليها وبموجب هذه المبادىء التنظيمية يقرر الاعضاء السياسة وينضم اليهم جمهور المنخرطين في التطبيق. لكن هذه «المبادىء» ليست سوى محاولة بعث فريق بيروقراطي يختص في اتخاذ القرارات وتسطير السياسات عوضا عن الجميع، اما عن التطبيق فيصبح من مشمولات جمهور «المنخرطين» : اخذ «الشيوعيون الثوريون» فكرة تقسيم العمل من تروتسكي نفسه الذي قال :

«على المؤتمر ان يعمل من اجل الاجتماع لبعض الاسابيع، اين يلتقي رفاق من جهات وفروع نشاط الحزب المختلفة ـ والاهم بصفة خاصة ـ التقاء نظريين وعمليين، يتقابل النظريون بالذين لهم مهمة تجسيد استخلاصاتهم في الممارسة اما العمليون فإنهم

يحملون معهم زادا من الافكار العامة لتغذية عملهم التحريضي. .»[46].

لقد التجأوا الى كل هذه المواقف المتنافية مع ابسط مبادىء المركزية الديمقراطية التي تضمن حق المناقشة واتخاذ القرار لكافة المنخرطين مهما كان موقعهم التنظيمي مع اشتراط وحدة الممارسة في التطبيق.

ان الاحزاب الماركسية اللينينية تنظم جمهور المناضلين اللاحزبيين في منظمات جماهيرية مختصة (نقابات، منظمات الشباب، منظمات نسائية. .) تتخذ فيها القرارات لا حسب ما يمليه عليها الحزب بل على اساس النقاش الذي يقوم به اعضاؤها، وتمارس وتسير حسب الديناميك الخاص الذي يحكمها. وليس من حق مناضلي الحزب العاملين فيها فرض ارادتهم عليها بل من واجبهم العمل بصورة دائمة على اقناعهم ومساعدتهم على كسب تربية وثقافة تقدمية بالنقاش الديمقراطي.

تتبع الاحزاب في عملها الدعائي والتحريضي تنظيم العناصر الحركية اللاحزبية في حلقات واسعة ومتنوعة. ولا يمكن اعتبار هذا الجمهور من المنخرطين (او المنتمين)، فهو في الغالب مكون من اناس عاديين لهم استعدادات للتحرك على هذه الواجهة او تلك. وعلى اساس الممارسة المشتركة تتربى الثقة لديهم في الحزب. وفي نفس الوقت ينتدب الحزب من بين هؤلاء العناصر الاكثر تقدما ونضالية والاكثر استعدادا للتطور، يقول لينين:

«من الممكن رؤية الخطر في ان يدخل الى الحزب دفعة واحدة جمهور من غير الاشتراكيين الديمقراطيين وآنذاك يذوب الحزب في الجمهور، يكف الحزب عن ان يكون فصيلة طليعية واعية من الطبقة، آنئذ ينحط الحزب الى دور الذنب»[47].

عارض «الشيوعيون الثوريون» اللينينية في النظرية والممارسة وربطوا بالمنشفية وبالاشتراكية ـ الديمقراطية. ان نظريتهم المعروضة علينا، عفوية لا تولى اهمية لدور الوعي ولا تعتبر ان الحزب مكون من طليعة الطبقة العاملة من خيرة ابنائها. ولا تراه كلا منظما بل تضع على رأسه اوليغارشية حزبية وفيما عدا ذلك تبقى الحدود مفتوحة بينه وبين طبقته او بالاحرى بينه وبين جميع الطبقات وهذا التصور ليس له بذرة واحدة من اللينينية.

3 ـ المركزية الديمقراطية:

يضبط «الشيوعيون الثوريون» مفهومهم للمركزية الديمقراطية كالآتي:

«المركزية الديمقراطية والتي تعني الحرية التامة في النقاش الداخلي وحق الاتجاه وحق

---

(46) دراسات ووثائق ماركسية ـ لينينية ـ ص 39

(47) المختارات في 3 مجلدات (م 1، ج2) لينين، دار التقدم موسكو 1976 ـ ص 154

التكتل والانضباط الصارم في تنفيذ القرارات التنظيمية والقوانين الداخلية»[48].

ان الحزب هو ـ كما عرفه ستالين ـ هيئة اركان الطبقة العاملة تشكّل المركزية الديمقراطية القانون المنظم للعلاقات داخله والتي تجعل منه كلا متلاحما. وهي تعني المناقشة الحرة والممارسة الموحدة حسبما تحدده ارادة الاغلبية. ولا يمكن لهذه الهيئة ان تقود جيش الطبقة العاملة اذا لم يكن كافة اعضائها مهما كان موقعهم يخضعون لانضباطية واحدة حديدية. والانضباط هنا لا يعني الطواعية العسكرية العمياء، بل الواعية تلك التي يقبلها العضو عن قناعة.

ان اللينينية لا تطلب من مناضلي الحزب الانخراط في هذه الانضباطية او القبول بها، الا على اساس حقهم في النقاش المعمق وتبادل الآراء، ولكن حالما ينتهي النقاش يطلب من الجميع الانضباط لرأي الاغلبية ولارادتها التي تمثل ارادة الحزب، وما على الرأي الاقلي الا الخضوع للرأي الاغلبي مع الاحتفاظ بحقه في اعادة طرح المسألة من جديد عندما تتوفر معطيات جديدة تدعمه.

ان قانون الاغلبية والاقلية كأحد مكونات المركزية الديمقراطية لا ينطبق على المسائل التي تتعلق بطبيعة الحزب وايديولوجيته ونظريته واهدافه الاستراتيجية، بل يخص كل قضايا النضال العملي والتكتيكي باعتبارها غالبا ما تكون محل تقديرات ووجهات نظر مختلفة جزئيا او كليا ولا يظهر الاتفاق بالاجماع او بالاغلبية الا بعد المناقشة الديمقراطية بينما يمثل القبول بالمبادىء الايديولوجية والنظرية والتنظيمية للحزب وببرنامجه ركنا اساسيا في الانتماء اليه. فهي الاسس اما ان نقبل بها او نرفضها من البدء. وهي بالتالي لا تدخل تحت طائلة قانون الاغلبية والاقلية وذلك لأنه لو كان الامر على هذا النحو لتغيرت مبادئه بتغير الاغلبية والاقلية ولوجد حزب البروليتاريا نفسه يدافع عن الشيء ونقيضه ويؤمن بالشيء ونقيضه، اليوم يطرح على الطبقة العاملة اهدافا وغدا اهدافا اخرى وهلمجرا.. الخ..

ان الحاجة الى وحدة كفاحية لحزب البروليتاريا وانضباطية حديدية استخلصها الشيوعيون من قوانين الصراع الطبقي ذاته ومن ضرورة تغيير ميزان القوى لصالح الطبقة العاملة بهدف الوصول بها الى السلطة والقضاء على نظام الاستغلال والاستعباد الرأسمالي والسير بالبشرية جمعاء نحو التحرر النهائي. يقول ستالين :

«ان المرحلة الجديدة هي مرحلة الاصطدامات المفتوحة بين الطبقات، مرحلة الاعمال الثورية للبروليتاريا مرحلة الثورة البروليتارية والاعداد المباشر للقوى في سبيل

---

(48) الشرارة عدد 1 ـ ص 15

قلب الامبريالية وافتكاك السلطة من قبل البروليتاريا. ان هذه المرحلة تطرح امام البروليتاريا مهام جديدة : اعادة تنظيم مجمل عمل الحزب حسب نمط جديد ثوري، تثقيف العمال على اساس النضال الثوري من اجل السلطة، واعداد وتجميع الاحتياطات، تحالف مع بروليتاري البلدان المجاورة، ربط علاقات متينة مع حركات التحرر في المستعمرات والبلدان التابعة.. الخ..

والاعتقاد بأن هذه المهام الجديدة بإمكانها ان تتحقق بقوى الاحزاب القديمة الاشتراكية الديمقراطية التي تربت في ظروف السكون البرلماني، يؤدي الى يأس لا حدود له، والى هزيمة لا مناص منها.

ان البقاء بمثل هذه المهام الملقاة على عاتقنا بالاحزاب القديمة يعني البقاء مجردين من السلاح تماما..

وعلى هذا الاساس ظهرت الحاجة الى حزب جديد، حزب كفاحي وثوري شجاع بما فيه الكفاية يقود البروليتاريين في النضال من اجل السلطة، محنك بدرجة كافية تسمح له بالاهتداء في الظروف المعقدة لوضع ثوري، ومرن بدرجة كافية تسمح بتجنب المخاطر من اي نوع كانت على الطريق المؤدية للهدف.

انه بدون مثل هذا الحزب لا يمكن حتى مجرد التفكير في قلب الامبريالية وتحقيق دكتاتورية البروليتاريا، هذا الحزب الجديد هو حزب اللينينية»[49].

ان مثل هذا الحزب في حاجة ماسة الى انضباط حديدي كي يقدر على قيادة البروليتاريا، التي لا تملك من القوة سوى وحدتها التنظيمية وتحالفها المتين مع سائر الكادحين، في حربها ضد اعداء لهم تحت تصرفهم احزاب بورجوازية : فاشية واصلاحية، واجهزة سلطة : جيش، بوليس، محاكم سجون، الخ وصحافة مأجورة، ومثقفون : أدباء، وشعراء وفنانون وعلماء... الخ. في خدمة مصالحهم. ويعد حزبا من ضروب الخيال التفكير في هزم هذه القوة التي تتمتع بها البورجوازية ـ بقطع النظر عن الدعم الخارجي ـ بدون حزب كفاحي مجرب وعارف بقوانين الصراع الطبقي وتعرجاته موحد اروع وحدة، يخضع مناضلوه الى انضباطية حديدية واحدة.

ان وحدة الارادة والانضباط الحديدي لحزب لينيني يتعارضان وتواجد الخطوط والكتل. لماذا ؟ لأن تواجدها يعني تفكيك الارادة الواحدة للحزب بحكم تعدد المراكز داخله، اذ يصبح لكل كتلة ارضيتها الخاصة ومركزها الخاص والا انتفت صفة الكتلة عنها،

---

(49) مسائل اللينينية، ستالين ـ ص 100 ـ 101

وهذا الوضع يؤدي بطبيعة الحال الى انعدام المركز الواحد. فتتفتت الارادة الواحدة وتتبعها الانضباطية الواحدة الى نفس المصدر ـ وهكذا يتلاشى الحزب ويتحول الى حزب اشتراكي ديمقراطي وأداة اضافية في يد البورجوازية تستعمله لمزيد تضليل وتكبيل الطبقة العاملة وابعادها عن اهدافها الحقيقية يقول لينين :

«في هذا العصر، عصر الحروب الاهلية الحادة لا يمكن للحزب الشيوعي اداء واجبه الا اذا كان منظما بأقصى المركزة ومحكوم بانضباط حديدي من الانضباط العسكري، ويتمتع فيه المركز بنفوذ كبير وبسلطات واسعة وحائز على الثقة العامة للأعضاء»(50).

وقد بين لينين مرارا عديدة خطر التكتل داخل الحزب وقاوم الانقسامية باعتبارها تهدد وحدة ارادة البروليتاريا سواء قبل الثورة او اثناءها او بعدها.

وقنن الحزب البلشفي معارضته للتكتل في المؤتمر العاشر. وكان لينين دعا الى «الالغاء التام لكل تكتل» و«الحل الفوري لكل الفرق بدون استثناء التي تكونت على قاعدة هذه الارضية او تلك». وفي صورة عدم تنفيذ ذلك فسيؤدي بأصحابه الى «الطرد المحقق والمباشر من الحزب»(51).

لا يعرف «الشيوعيون الثوريون» معنى للديمقراطية البروليتارية الا في نطاق تعدد الخطوط والكتل وهذه الفكرة ليست خاصة بهم وحدهم بل يشتركون فيها مع الماويين..

ان الخط الايديولوجي والسياسي يعبر بصفة مكثفة عن مصالح طبقية معينة يتبناه ويدافع عنه مجموعة من الافراد منظمين طبقا لقوانين ومبادىء خاصة بها فتتشكل بذلك في تجمع او كتلة او حزب. ويمثل هذا التنظيم طليعة الطبقة التي يتبنى ويدافع عن مصالحها الجوهرية. وقد يتساءل بعض المناضلين ـ متأثرين ببعض النظريات البورجوازية والبورجوازية الصغيرة ـ عن سبب قبولنا بوجود احزاب متعددة للبورجوازية في حين اننا نرفض التعدد بالنسبة للطبقة العاملة. كل ما في الامر انهم لم يفهموا الفوارق التي تقوم عليها مصالح هذه الطبقة او تلك. صحيح ان للبورجوازية مصلحة واحدة تكمن في الحفاظ على نظام الاستغلال والاستعباد الرأسمالي، لكن وبحكم جشعها ولهثها الدائم على تنمية ثروتها الخاصة لا على حساب الكادحين فقط بل وعلى حساب شرائح منها دون اخرى. وهو ما من شأنه ان يؤدي الى صراع بينها في سبيل الهيمنة على السوق وعلى سلطة الدولة كي تستعملها لخدمة مصالحها الانانية الضيقة. وهذا التنافر والوحدة بين المصالح الانانية

---

(50) لينين، مجلد 25 (البطعة الفرنسية) ـ ص 282 ـ 283

(51) مسائل اللينينية، ستالين ـ ص 112

الضيقة يفترض تعدد التعبيرات السياسية حسب تشكل الوعي الخاص بهذه الكتلة او تلك وتستغل البورجوازية هذا التعدد في صفوفها لحماية نظامها من الانهيار، وعندما يصيب الافلاس احد احزابها الماسكة بالسلطة وتصبح الحركة الجماهيرية الرافضة تهدد كيانه تعمد الى تغييره بآخر عرف بمعارضته فيأخذ مطالبها وشعاراتها ويفرغها من محتواها كي يتزعم «التغيير المنشود».

ومهما تعددت احزاب البورجوازية وشعاراتها سواء كانت في المعارضة او في السلطة فإنها لا تخدم سوى مصالح طبقتها الضيقة ومصالح نظامها ككل. لكن تعدد الاحزاب لا يعد قاعدة عامة لجميع البلدان الرأسمالية بل نجد البورجوازية في العديد منها تكتفي بحزب واحد لفترة ما من تاريخ دكتاتوريتها، وهو ما نلاحظه على الاخص زمن صعود الفاشية للسلطة في اوروبا وفي البلدان التابعة.

بينما تنفي الشيوعية تعدد الاحزاب بالنسبة للطبقة العاملة وذلك لأن هذه الاخيرة لا تملك شيئا غير الاغلال، فهي تنتج الثروة لغيرها (اقلية المجتمع : اي البورجوازية)، وبالمقابل فهي لا تتلقى منها سوى ما يسمح لها بإعادة انتاج نفسها وبالتالي تواصل سلالة العبيد الجدد عبيد رأس المال.

لقد اهلها وضعها المادي (الاقتصادي والاجتماعي) ان تناضل لا في سبيل مصلحة انانية ضيقة بل في سبيل تحرير المجتمع ككل، لأن هدفها هو القضاء المبرم على النظام الاستغلالي والاستعبادي وعلى انقسام المجتمع الى طبقات.

ان الطبقة العاملة لا تملك شيئا يمكنها من تحقيق اهدافها سوى وحدة صفوفها وارادتها وقوة تنظيمها. وما من شك في ان وحدة الارادة لا يمكن ان تتحقق لديها الا على اساس وجود هيئة اركان موحدة : تقود نضالها الطبقي وتتمتع بنفوذ واسع في صفوفها اي حزب سياسي قوي بمبادىء ايديولوجية ونظرية ماركسية لينينية وله استراتيجيا وتكتيك ثوريان وما من شك ايضا ان وحدة تنظيمها وقوته لا يمكن ان تتحقق الا بقيادة حزب كفاحي وثوري يضم في صفوفه خيرة ابنائها، منظم باحكام تسوسه المركزية الديمقراطية، له انضباطه الحديدي، شجاع بما فيه الكفاية، ومحنك بدرجة تمكنه من تجنب المزالق ومرن بصورة تمكنه من تتبع تعرجات الصراع الطبقي ومن تجميع وتنظيم جيش البروليتاريا، في كل واحد متماسك منتهجا في ذلك شتى اساليب التنظيم.

وعلى هذا الاساس فإن تعدد احزاب الطبقة العاملة يعني بالضرورة تعدد المصالح ومن هناك تعدد المبادىء الايديولوجية والنظرية والبرامج الامر الذي يجعل من «وحدة الارادة» حلما ساذجا، ويحل محلها التناحر والتعادي وتفقد البروليتاريا بذلك اهم سلاح

تمتلكه (وحدة ارادتها السياسية، **وقوة تنظيم صفوفها**). **ان التعددية تهبط بها الى مستوى** المصالح الانانية الضيقة : اي المصالح المهنية الفرعية، وبالتالي الى التريدينيونية، وتحكم ربطها كذيل للبورجوازية لخدمة مصالحها ومصالح نظامها الرأسمالي.

نأتي الآن الى مسألة حرية الخطوط والكتل. كنا بينا ان الخطوط والكتل تعبر في النهاية عن مصالح طبقية معينة، اما ان تعبر عن مصالح البورجوازية (كبيرة او صغيرة) والطبقات الاستغلالية القديمة او عن مصالح الطبقة العاملة لذلك يكون القبول بالخطوط والكتل في حزب البروليتاريا يعني اعتباره مرآة عاكسة للصراع الطبقي في المجتمع يجتمع فيه ممثلو المصالح الطبقية المتنافرة والمتناقضة ليبحثوا عن ارضية مشتركة تجمعهم، تجمع مصالح المستغل (بفتح الغين) والمستغل (بكسر الغين)، المضطهد (بفتح الهاء) والمضطهد (بكسر الهاء) السيد والعبد. وهذه النظرة اساس التعاون الطبقي تقودها ديمومة النظام الرأسمالي. والحزب البروليتاري المبني على هذه القاعدة لن يكون سوى اداة تفكيك وحدة ارادة وتنظيم البروليتاريا وبالتالي عنصر تكبيل وتعطيل لوعيها.

لقد ربط «الشيوعيون الثوريون» تعدد الخطوط والكتل بالديمقراطية داخل الحزب وبالانضباط الصارم، لكنهم في الحقيقة :

أولا : لا يفرقون بين الديمقراطية البورجوازية وبين الديمقراطية البروليتارية. ولا يفهمون ان الأولى تعطي الحرية للمالكين وتمنعها عن الشعب بواسطة الدساتير والقوانين او بالاعتماد على قانون الغاب. اما احزابها فتقوم على الزعامات والولاءات الشخصية والكتل، كل حسب امكانيات المغالطة وشراء الاتباع.. الخ. ويعطون لهذا «التناحر» الخفي والمكشوف صفة الديمقراطية المثلى، في حين ان الثانية تمنح الديمقراطية للشعب وتوفر كل امكانيات ممارستها ولا تحرم منها الا من يحاول تخريبها. وتطبيق الديمقراطية البروليتارية داخل الاحزاب الشيوعية الماركسية اللينينية، باحترام النقاش، بتوفير الشروط والأدوات اللازمة لذلك، وبعدم احتكار اقلية من «النبغاء» او «علية القوم» للقرار لأن صنعه موكول لما يفضي اليه النقاش الداخلي، اي طبقا للارادة الواحدة للحزب التي يمكن تحديدها حسب الرأي الأغلبي. وعندما ينتهي النقاش تصبح الممارسة الموحدة شرطا ضروريا لكافة الاعضاء على اساس خضوع الاقلية للاغلبية، وعليها الدفاع عن الموقف الاغلبي وكأنه موقفها الخاص باعتباره يمثل الارادة الموحدة للحزب. وهذا يعني ان الديمقراطية البروليتارية ليست فوضى او حرية خطوط وتكتل، بل هي حرية النقاش ووحدة الممارسة المنظمة طبقا لقانون المركزية الديمقراطية. بينما الديمقراطية البورجوازية هي التكتل وهي الزعامات وفي النهاية الفوضوية. ويقتبس التروتسكيون هذه المفاهيم والتصورات كي يتسللوا بها الى

صفوف الطبقة العاملة والى فكرها وسياستها الطبقية بهدف تخريبها.

وثانيا : يقرن الجماعة تعدد الخطوط والكتل «بالانضباط الصارم في تطبيق التعليمات والاجراءات التنظيمية» في حين ان الكتل تعني بالضرورة تعدد المراكز والسلطات وهي بالتالي انتفاء الارادة الموحدة والانضباط الواحد والصارم. وهكذا نلاحظ بدون عناء ان ربط حرية التكتل بالديمقراطية وبالمركزية الديمقراطية والانضباط الصارم لا يعدو ان يكون مجرد لغو تافه من وجهة نظر ايديولوجية البروليتاريا وهي مجرد محاولة تمرير افكار بورجوازية تحت غلاف وجمل ماركسية لينينية.

ان «الشيوعيين الثوريين» تربوا في المدرسة التروتسكية ولم يكشفوا من الوهلة الاولى عن اهدافهم ومراميهم وغطوها بستار كثيف من المنطق الضبابي المتماسك ظاهريا اخذوه عن معلمهم تروتسكي وهو يعالج نفس القضية حين قال في 1923 :

«اذا اردنا ان لا تكون ثمة تكتلات يجب ان لا تكون ثمة تجمعات دائمة. واذا اردنا ان لا تكون ثمة تجمعات دائمة يجب ان نتجنب التجمعات المؤقتة. اخيرا ولكي لا تكون ثمة تجمعات مؤقتة يجب ان لا تكون ثمة خلافات في الآراء لأنه حيثما يوجد رأيان يتجمع الناس حتما وفقا لهما»[52].

يلاحظ القارىء ببداهة ان المنطق الذي يقود تروتسكي بعيدا كل البعد عن الجدلية ويرتكز على السفسطة والتعاقبية والاطلاقية بحيث لا ينزل الظاهرة الى الصراع الطبقي، الى التعارض والصراع بين قطبي المجتمع (البورجوازية والبروليتاريا) ليخرج في النهاية باستخلاصات تخدم مصلحته السياسية. ظهر في البداية وكأنه شاطر الرأي القائل بضرورة منع التكتلات داخل الحزب، الا انه في سياق «تحليله» يضيف فكرة ساذجة تقول ان التكتل باعتباره تجمعا دائما، هو وليد التجمع المؤقت وان هذا الاخير هو بدوره وليد وجود خلافات في الرأي (كذا) ليخرج باستنتاج في شكل قانون عام ـ او قل مطلق ـ : «حيثما يوجد رأيان، يتجمع الناس حتما وفقا لهما».

ويترك للقارىء الاستنتاج الذي لم يقدمه له بصفة مكشوفة وهو أن التكتل مسألة حتمية لا حول ولا قوة لنا عليه. لقد حصر تروتسكي القارىء غير الفطن في نطاق فكرة قالب: «التجمعات الدائمة هي نتيجة حتمية للتجمعات المؤقتة»، جرد بها التكتل من طابعه الطبقي وبذلك أصبح الانتقال من الطور الثاني الى الاول مجرد حركة ميكانيكية داخل نفس النوعية ولا يعدّ تحولا نوعيا في الطبيعة ذاتها، كيف ذلك ؟

---

(52) المركزية الديمقراطية والمركزية البيروقراطية، غسان ماجد ـ ص 8

ان الحزب الماركسي اللينيني يعيش في مجتمع طبقي، ومن المنطقي أن ينعكس عليه الصراع الطبقي، أي أن يظهر في صلبه اختلاف في الآراء حول قضايا النضال العامة واليومية وتبعا لذلك تظهر أقلية وأغلبية تخضع الأولى للثانية ـ طبقا لمبدأ المركزية الديمقراطية ـ ووجود أقلية ـ في حدود المسائل التكتيكية والعملية ـ لا يتنافى والمبادىء الماركسية اللينينية بل هو ظاهرة من ظواهر الصراع الطبقي داخل الحزب. لكن ما كلّ مرّة تسير الأمور على هذا النحو، اذ بفعل الارهاب وضغط ايديولوجية البورجوازية وانخفاض اليقظة داخل الحزب ونقص اعداد مناضليه ايديولوجيا وسياسيا واندساس عناصر انتهازية في صلبه قد يؤدي الى ظهور تجمعات تراجع خط الحزب كلّ من زاويتها وتعمل في نفس الوقت على فرض أرضيتها وارادتها على باقي المناضلين. ان هذه التجمعات من طبيعة مخالفة تماما لطبيعة التجمعات من الصنف الاول (أقلية وأغلبية). تجمّعات معادية للحزب وللطبقة العاملة فهي تمثل هدفا للمقاومة. والخلط الذي اعتمده تروتسكي بين الصنفين لا هدف من ورائه الا الوصول الى النتيجة التالية: «حيثما يوجد رأيان، يتجمع الناس وفقا لهما». ليشرع في النهاية الصنف الثاني من التجمعات أي الكتل ويخرج بقانون عام لخدمة أغراضه السياسية: «المركزية الديمقراطية تعني حرية الاتجاه والتكتل...».

ان تروتسكي قبل أن يخرج علينا بقانونه العام «أوهمنا» أنه قانون موضوعي لا حول ولا قوة لنا عليه بما انه حيثما وجد رأيان يتكتل الناس بالضرورة حولهما. يقول أحد أتباعه في هذا الشأن:

«ان التكتلات ليست سوى نتائج طبيعية مرضية او لانعكاس الظروف الاجتماعة والسياسية العامة داخل الحزب. ان منعها بالتالي اما أن يكون قسريا فيلجأ الى قمع وارهاب يمارسه «الجهاز». ـ وهي حال الاحزاب الستالينية ـ أو يكون تشجيعا للانشقاق. ان المعالجة الصحيحة لمسألة التكتلات ليست في حظرها بل في احترام حقوقها الديمقراطية بما يسمح بمطالبتها باحترام المركزية الديمقراطية أي قرارات الاكثرية. ان معالجتها السليمة هي في اقناعها، اقناعا، بضرورة الحفاظ على وحدة الحزب. اما اذا كانت الخلافات أعمق من أن تتحمل التعايش في حزب واحد فعلى الوحدة السلام! ان اللينينية أيضا تراث انشقاقي!...» [53].

ان كلّ المحرفين من اليسار ومن اليمين الذين ظهروا في الحركة الشيوعية والعمالية العالمية توجهوا رأسا الى محاولة الاستيلاء على هيئة أركان الطبقة العاملة وتفكيكها من

(53) نفس المصدر ـ ص 8 و9

الداخل. ورددوا جميعا رفضهم «لبيروقراطية الجهاز» ودعوا للتعدد والتكتل باعتباره استجابة لقانون موضوعي من قوانين الصراع الطبقي وأشهرها هي «نظرية الصراع الخطي» الماوية والتكتيلية التروتسكية.

ينعكس الصراع الطبقي داخل حزب البروليتاريا ويأخذ أشكالا عدة بما في ذلك الصراع ضد الكتل والخطوط، لكن هل ان الوصول الى هذه الحالة أمر حتمي؟ كلاّ! ان الحزب الشيوعي الماركسي اللينيني عندما يكون موحدا ايديولوجيا وسياسيا، وعندما يكون يقظا على الدوام وعينه ساهرة على كافة مناضليه، يربيهم ويصلّب عودهم في خضم الصراع الطبقي، وعندما يعمل باستمرار على تنقية صفوفه من العناصر الانتهازية التي نفذت طاقاتها الثورية وتحوّلت الى صنيعة البورجوازية في صلب الحزب وعندما يقاوم الانحرافات البيروقراطية والليبرالية حال ظهورها، ويشيع الديمقراطية البروليتارية وقتها يصبح احتمال ظهور الخطوط والكتل ضعيفا. ومن هذه الزاوية يأخذ الصراع الطبقي داخل الحزب، بالنسبة لنا، اتجاه دعم وحدة الحزب باستمرار وصيانته من أخطار تخريب الكتل والخطوط بينما يراه التروتسكيون في وجودها الحتمي وفي «تمكينها من حقوقها الديمقراطية» وفي العمل على اقناعها «بضرورة الحفاظ على وحدة الحزب».

وخلاصة القول فان «الشيوعيين الثوريين» لا يتبنون المركزية الديمقراطية الا كلاما، وهم يغلّفون التكتلية والانقسامية بشعارات «شيوعية ثورية» أو «ماركسية ثورية» ويقفون بذلك على طرفي نقيض مع الماركسية اللينينية ويحولون حزب الطبقة العاملة الى أداة بين أيدي البورجوازية.

4 ـ شيء من التاريخ، وقرار المؤتمر العاشر الخاص بوحدة الحزب:

يروّج التروتسكيون أن قرار المؤتمر العاشر للحزب البلشفي الذي يحظر الكتل قرار مؤقت أملته الظروف الخاصة التي كانت تمر بها الدولة السوفياتية الفتية و«الحالة المتدهورة» التي عليها الحزب. ويعلّلون هذا ايضا بأن «**اللينينية (هي) تراث انشقاقي**»(54) **وأن** «**لينين ذاته (كان) أنشط التكتليين**»(54) ويعطينا أحد التروتسكيين من الشرق العربي صورة حيّة على تزوير التاريخ، يقول:

«من يستطيع أن ينكر أن تاريخ البلشفية حتى سنة 1921 كانت التكتلات عنصرا أساسيا من عناصره؟ أفليس البلاشفة بالاصل تكتلا؟ او ليس لينين ذاته أنشط التكتليين؟ البلاشفة هم أحد اتجاهي الحزب العمالي الاشتراكي الديمقراطي في روسيا اللذين تحولا

---

(54) نفس المصدر ـ ص 5

الى تكتلين علنيين سنة 1904 (كونفرنس التجمعات البلشفية في جينيف)، سنة بعد ظهورها في المؤتمر الثاني للحزب (مؤتمر بروكسيل 1903) ثم توحدا مجدّدا في المؤتمر الرابع (ستوكهولم 1906) وكان البلاشفة فيه أقلية ثم عادوا أكثرية في المؤتمر الخامس (لندن 1907). في سنة 1907 في الكونغرنس الثالث صوت لينين وحده من بين البلاشفة مع المناشفة ضدّ جميع البلاشفة الآخرين حول مسألة مقاطعة الانتخابات للدوما (البرلمان القيصري) الثالثة التي حاول البلاشفة جر الحزب اليها. بعد ذلك ظهر بين البلاشفة تكتل جديد «القصوليين» و«الاوتزوفيين» ما لبث أن انفصل عن التكتل الاكبر سنة 1909. هذا وفي السنة ذاتها أصبح لينين في أقليّة بين البلاشفة الذين مالت غالبيتهم الى التوفيقيين (دعاة وحدة الحزب بجميع تكتلاته، وقد تزعم الدعوة التوفيقية تروتسكي الذي نشط في تكتل مستقل عن البلاشفة والمناشفة) فبلغ جو الوحدة في الحزب أوجه في سنة 1910 الى حدّ أن صحيفتي التكتلين الكبيرين اندمجا في صحيفة واحدة هي صحيفة «الاشتراكي الديمقراطي» التي ضمت هيئة تحريرها لينين وزينو فياف ودان ومارتوف. . . غير ان الألفة لم تعمر وفي 1912 حسم الانشقاق بين البلاشفة والمناشفة (بعد ان انفصل بليخانوف عن هؤلاء وتعاون لمدة سنة مع البلاشفة على رأس تكتله الخاص الذي نشأ بين المناشفة سنة 1908).
بعد اندلاع الحرب العالمية الاولى في عام 1914 واثر القمع الذي انهال عليهم، تضعضع البلاشفة ولم يعيدوا تنظيم صفوفهم الا بدءا من عام 1916. أما صراع تكتل البلاشفة ضد تكتل «البلاشفة القدامى» طوال الأشهر الممتدة بين ثورتي فبراير وأكتوبر 1917، فليس هناك من يجهل به وقد وصل هذا الصراع الى حافة الانشقاق سيما وأن «البلاشفة القدامى» (أشهرهم زينوفياف وكاميناف) تعاونوا مع فئات من خارج الحزب ونشروا آراءهم في غير صحافة الحزب. أما بعد الثورة، فدارت مناقشة هامّة حول صلح برست ليتوفسك بين لينين وأنصاره من جهة وتكتل «الشيوعيين اليساريين» (أشهر أعضائه بوخارين) من الجهة الاخرى فقد انضم تروتسكي وأنصاره الى رأي لينين بعد أن وقفوا لوهلة أولى موقفا وسطيا الامر الذي سمح لرأي لينين بالانتصار. كان ذلك في فبراير ـ مارس 1918. وقد دارت بعدئذ مناقشة حول سياسة الحزب في الشؤون العسكرية بين أكثرية تبنت أطروحات تروتسكي في هذا الموضوع وأقلية رأت أن يقتصر التنظيم العسكري على الميليشيات ووحدات الانصار. أما في سنة 1920 فقد انقسم الحزب الى اتجاهات وتكتلات شتى تحت ضغط ظروف كانت تزداد صعوبتها باستمرار. دارت المناقشة حول المسألة النقابية بين اتجاهين وتكتل ثالث اتجاه الاكثرية بزعامة لينين واتجاه تروتسكي بوخارين، وتكتل «المعارضة العمالية» شليابنيوكف وكولونتاي. كما تشكل تكتل آخر حول الوضع العام في

الحزب والدولة هو تكتل «المركزية الديمقراطية» (بزعامة سابرونوف وسميرنوف) ولما أخذ هذا الوضع يهدد وحدة الحزب وبالتالي مصير السلطة البلشفية التي وقفت آنذاك على كفّ عفريت قرّر المؤتمر العاشر للحزب المنعقد في مارس 1921 منع النقاش في تكتلات حفاظا على وحدة الحزب في مرحلة عصيبة»[55].

ومن سوء طالع تروتسكيينا أن سعيهم لتزوير تاريخ البلشفية واللينينية لم يجد صدى إلا لدى أصحاب «الجملة الثورية» فئة من البورجوازية الصغيرة شبه المثقفة تتباهى بانتمائها إلى «شيوعية» غير مألوفة. وبحكم عجزهم على «التنظير» التجأ «الشيوعيون الثوريون» إلى أشقائهم في المشرق العربي كي يمدّوهم بما توصلوا إليه من «اكتشافات» لا يقدر عليها إلا خونة الشيوعية والمحرفون. ويظهر ذلك بجلاء في الاستشهاد المطول والممل الذي أوردناه أعلاه للتروتسكي «غسان ماجد».

إن أول ما يمكن ملاحظته هو تغيير المعطيات وتجريدها من إطارها الايديولوجي والسياسي ومن الظروف التاريخية التي ظهرت فيها، كي يصل في النهاية إلى استنتاج يبدو بديهيا، وهو أن «تاريخ البلشفية هو تاريخ التكتلية داخل الحزب العمالي الاشتراكي الديمقراطي الروسي» ليبرر بذلك التكتلية التروتسكية، وحتمية ظهور الكتل في الحزب وأخيرا ظرفية قرار المؤتمر العاشر الخاص بوحدة الحزب.

لا يخفى على أي مناضل شيوعي له أدنى اطلاع على تاريخ الحركة الشيوعية العالمية أن نظرية الحزب اللينينية ولدت في ظروف ما زالت فيها الأحزاب الشيوعية (الاشتراكية الديمقراطية بالتسمية القديمة) في ظلّ الاممية الثانية منظمة على الطريقة القديمة، كما أن عامة الاشتراكيين الديمقراطيين ما زالوا في تفكيرهم ونظرياتهم وسياساتهم وأساليب عملهم ونضالهم على النمط القديم.

لقد ظهرت نظرية الحزب اللينينية منذ 1901 وقت وضع لينين أسسها النظرية والايديولوجية في «ما العمل ؟» وفي 1903 وضع أسسها التنظيمية في «خطوة إلى الأمام..» بالاضافة إلى عديد المقالات والرسائل وأشهرها : «بماذا نبدأ ؟»، و«رسالة إلى رفيق». ولم تشق اللينينية طريقها إلا بصعوبة داخل حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي لأن جمهور العمال الذين ينتمون له لم يمسكوا بعد بحقيقة الصراع الذي قابل البلاشفة بالمناشفة، وكان أملهم كبيرا في أن يروا الحزب موحدا. لذلك كانوا يطالبون وينادون بالوحدة ولم يتفطنوا لانتهازية المناشفة وتحريفهم للماركسية إلا بعد فترة طويلة نسبيا

---

(55) نفس المصدر ـ ص 5 ـ 6

(1903 ـ 1912) من الممارسة المشتركة التي مكنتهم من اكتشاف حقيقتهم. وكان على لينين أن يأخذ هذا العامل بعين الاعتبار حتى لا ينعزل البلاشفة على جمهور الأعضاء. وهو يواصل الصراع النظري والفلسفي والسياسي ضد كل مظاهر الانحراف عن خط الحزب ومبادئه وينادي بضرورة اتخاذ اجراءات تنظيمية في شأن المندسين والمتعاونين مع الأعداء، ولم يقبل أبدا أن تعشش في الحزب الكتل والخطوط. ولاماطة اللثام عن التروتسكيين المتسترين باللينينية سوف نعمل على وضع الاحداث والوقائع في اطار الظروف التي ظهرت فيها كي يتبين للقارىء انتهازيتهم وتزويرهم للتاريخ.

تأسس حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي في روسيا في 1898 بدون أن يكون له برنامج ونظام داخلي وقد تعقدت أوضاعه بعد اعتقال لجنته المركزية فساد صفوفه الارتباك الفكري والتشتت التنظيمي وظهر في صلبه تيار يبرر نظريا هذا الوضع ويشيد به كظاهرة تنوع «يعتبر هدف انشاء حزب سياسي موحد ومركز للطبقة العاملة هو هدف مصطنع وعديم الفائدة»[56].

ويدعى أصحاب هذا التيار «الاقتصادويون» فكان من الضروري لانشاء الحزب، القضاء على «الاقتصادويين» كتيار انتهازي. ويقتضي تحقيق هذا الهدف ضبط برنامج الحزب ومهماته، وقد أخذ لينين على عاتقه هذه المهمة، فخاض صراعا داخل الاشتراكيين الديمقراطيين الثوريين من أجل بعث جريدة لعامة روسيا أوكل لها مهمة هزم «الاقتصادوية» ووضع أسس الحزب. ووضح مشروعه في مقاله «بماذا نبدأ ؟» ثم عمقه في «ما العمل ؟» ووضع المبادىء الايديولوجية والنظرية التي كونت الأساس الفكري للبلشفية.

وفي 30 جويلية 1903 بدأ المؤتمر الثاني للحزب أشغاله في بروكسال وأنهاها في لندن. كانت مهمة المؤتمر كما عرفها لينين في «ما العمل ؟» قبل انعقاده بحوالي سنتين :

«تأليف حزب حقيقي على أساس مبادىء وأسس التنظيم التي وضعتها الايسكرا».

ومن البديهي أن يكون المؤتمر غير متجانس بحكم أن هزيمة «الاقتصادويين» لا تعني القضاء على الانتهازية أو على العقلية القديمة، لذلك سهل عليها التستر تحت تلونات جديدة وتمكنت من التواجد في المؤتمر :

«وهكذا كان المؤتمر لا يضم أنصار الايسكرا فحسب، بل خصومها أيضا. وكان عدد أنصار الايسكرا 33 أي الاكثرية، غير أن الذين كانوا يدعون أنهم من أنصار الايسكرا لم يكونوا جميعهم ايسكريين لينينيين حقيقيين. وقد انقسم المندوبون إلى فرق

---

(56) تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي ـ ص 49

عديدة وكان لانصار لينين أي الايسكريين الثابتين 24 صوتا. وكان 9 من الايسكريين يتبعون مارتوف وهم الايسكريون غير الثابتين. وكان قسم من المندوبيين يتأرجح بين الايسكرا وخصومها وله 10 أصوات في المؤتمر، وكان يؤلف الوسط أما خصوم الايسكرا العلنيون فكان لهم 8 أصوات (3 «اقتصادويين» و5 «بونديين» [57].

كانت أهم القضايا المطروحة أمام المؤتمر هي الموافقة على برنامج الحزب ونظامه الداخلي. وإن توصل لينين إلى احراز انتصار حول البرنامج ضد فريق من الانتهازيين الذين اعترضوا على دكتاتورية البروليتاريا وعلى مطالب الفلاحين الخاصة وعلى حق الامم في تقرير مصيرها، فقد وجد نفسه أقليا فيما يخص الفقرة الأولى من النظام الداخلي وذلك لترسب الحرفية والحلقية والتشتت التنظيمي وفقدان نظام يشدّ الحزب. وأظهرت النقاشات تصورين متعارضين لنمط حزب البروليتاريا. فمن ناحية كان لينين واللينينيون يكافحون من أجل حزب متجانس ومكافح ومنظم بكل الدقة اللازمة تحكمه انضباطية صارمة، ومن الجهة الاخرى كان مارتوف وأنصاره وحلفاؤه يعملون كي يكون الحزب فضفاضا، غامض الحدود لا يخضع لشكل تنظيمي محدد ولا لنظام صارم.

لقد كان الصراع ضد الانتهازية في مجال النظرية والبرنامج، وكذلك الأمر في المجال التنظيمي. كما كان الفرز ضروريا في صفوف الاشتراكية الديمقراطية الثورية بعد أن حصل الانفصال عن «الاقتصادويين». وبذلك بدأت اللينينية تعوض المفاهيم القديمة والقوالب الجامدة والخمول والحرفية. . . إلخ.

وليس من الغريب أن يتخلّى الايسكريون غير الثابتين عن الايسكريين الحازمين ويتجمع تحالف بين مارتوف والبوند والاقتصادويين والبولونيين، ليحصل مارتوف على الأغلبية في التصويت على الفقرة الأولى من النظام الداخلي. وخلال المناقشة حاول جماعة «البوند» الحصول على وضعية متميزة داخل الحزب كممثل وحيد للعمال اليهود في روسيا. رفض المؤتمر طلبهم باعتباره مظهرا من مظاهر التعصب «القومي». ولما رفض مطلبهم انسحبوا وتبعهم اثنان من «الاقتصادويين» عندما رفض المؤتمر الاعتراف باتحادهم كممثل للحزب في الخارج. وبذلك تم الفرز مرة ثانية بالتخلص النهائي من «البوند» ومن «الاقتصادويين» المتسترين.

وتجلّت الغلبة لمشروع لينين. كان انتباهه مركزا من البداية على تركيبة الهيئات القيادية للحزب. وكان يعتبر أنه من الواجب أن ينتخب المؤتمر «في اللجنة المركزية ثوريين يتصفون

---

(57) نفس المصدر ـ ص 62
انظر لينين «خطوة الى الامام».

بالحزم والصلابة» لانه يعلم جيدا أن مارتوف وأنصاره متربصون بها ويريدون أن يكون التفوق لصالح العناصر المترددة والانتهازية.

«إلا أن أكثرية المؤتمر تبعت لينين حول هذه النقطة وانتخب أنصار لينين أعضاء في اللجنة المركزية».

وباقتراح من لينين انتخب لهيئة تحرير الايسكرا لينين وبليخانوف ومارتوف. وبعد أن ضمن لينين للحزب برنامجه ونظامه الداخلي، انتخب أنصاره إلى هيئات الحزب المركزية ومنذ ذلك الحين أطلق عليهم البلاشفة وعلى أنصار مارتوف المناشفة.

وعلى الرغم من أن المؤتمر حقق نجاحات باهرة فإنه :

ـ «كشف عن خلافات خطيرة في ميدان التنظيم قسمت إلى بلشفيك ومنشفيك : الأولون يدافعون عن مبادىء تنظيم الاشتراكية الديمقراطية الثورية بينما يتخبط الآخرون في هوة التفسخ التنظيمي وفي مستنقع الانتهازية.

ـ كما أظهر أن هناك انتهازيين من نوع جديد، هم المنشفيك، أخذوا يحلّون شيئا فشيئا في الحزب، محل الانتهازيين القدامى «الاقتصادويين» الذين هزمهم الحزب ودحرهم.

ـ وتبين أنه (أي المؤتمر) لم يبلغ المستوى الرفيع الذي تتطلّبه الحالة فيما يتعلّق بمسائل التنظيم، فقد تردد وجعل الغلبة أحيانا في جانب المنشفيك، ورغم أنه استيقظ في النهاية فهو لم يستطع أن يفضح انتهازية المنشفيك في مسائل التنظيم ولم يستطع حتى وضع مهمة كهذه أمام الحزب». (58)

تبيّن هذه الملاحظات الاستنتاجية أن انقسام الحزب إلى أغلبية وأقلية شمل فحسب بعض جوانب التنظيم التي قد لا تؤدي بالضرورة إلى الخروج الكلي لهذه الاقلية عن الماركسية، هذا إلى جانب عدم نضج الحزب ككلّ وارتقائه إلى المستوى المطلوب في مسائل التنظيم، لذلك يكون من السابق لأوانه ومن الخطر طرح مسألة الانفصال عن المناشفة في المؤتمر. لذا كان من الواجب انضاج الظروف من أجل ذلك. إن مراعاة الظروف لا يعدّ قبولا بالتكتل. ولو كان لينين من المدافعين عن هذه الفكرة لقبل ببقاء البوند داخل الحزب على الصورة والأرضية التي يرتضيها ولقبل أيضا ببقاء «الاقتصادويين» بينما أوكل للايسكرا مهمة القضاء عليهم وبعث الحزب على أنقاضهم.

---

(58) نفس المصدر ـ ص 67

لم يقبل المناشفة بالهزيمة فطالبوا بعد المؤتمر أن يكون تمثيلهم في هيئة تحرير الجريدة واللجنة المركزية بنسبة تؤمّن لهم الأغلبية في هيئة التحرير والتساوي في اللجنة المركزية. رفض البلاشفة هذا الطلب باعتباره يتنافى وقرارات المؤتمر الواجب احترامها. عندها ألّفوا جماعتهم الانقسامية المعادية للحزب يتزعمها مارتوف وترُوتسكي وأكسلرود و«أعلنوا العصيان على اللينينية» على حدّ تعبير مارتوف. وتمكنوا من جرّ بليخانوف المذعور من خطر انقسام الحزب وراءهم وأضافوا إلى هيئة «الايسكرا» المحررين المناشفة القدامى رغما عن ارادة المؤتمر وابتداء من عددها الـ 52 أصبحت الايسكرا اللسان المركزي للمناشفة.

وتحالف المناشفة مع «الاقتصاديين» والبونديين وأشهروا الحرب على اللينينيّة في مسائل التنظيم. فكان لا بد من ردّ حاسم على نظرياتهم الانتهازية وهو ما قام به لينين فعلا في مؤلّفه: «خطوة إلى الامام خطوتان إلى الوراء» الصادر في 1904 الذي وضع الأسس التنظيمية للحزب من النمط اللينيني، ولخص فيه تحليل الخلافات التي ظهرت في المؤتمر الثاني والأبعاد التي أخذتها فيما بعد. لقد أكّد لينين أن وحدة الطبقة العاملة السياسية لا تكفي بمفردها لتأمين الانتصار بل هي في حاجة أيضا إلى وحدتها التنظيمية.

إن الأهمية التاريخية لهذا المؤلف هي بالاضافة إلى الدور الذي لعبه في حماية الحزب من أخطار التخريب المنشفي تعود إلى كونه وضع:

«لأول مرة في تاريخ الماركسية تعاليم الحزب من حيث هو المنظمة القائدة للبروليتاريا، ومن حيث هو سلاح أساسي في يد البروليتاريا يستحيل بدونه احراز الغلبة والظفر في النضال لأجل الدكتاتورية البروليتارية»(59).

لقد تمكّن البلاشفة بفضل هذا النضال من كسب أغلبية منظمات الحزب في حين أحرز المناشفة على الأغلبية في اللجنة المركزية بعد أن كسبوا إلى جانبهم بلشفيين متفسخين، واستولوا على هيئة تحرير الايسكرا، ورموا نهائيا بمقررات المؤتمر عرض الحائط. فأصبح ضروريا اصدار جريدة بلشفية جديدة وتنظيم مؤتمر جديد، المؤتمر الثالث للحزب لانتخاب لجنة مركزية جديدة وتصفية حساب المناشفة، وفي سبيل ذلك عقدت اللجان البلشفية الجهوية الثلاث (الجنوب، القفقاس، الشمال) وانتخب من بينها مكتب تولى الاعداد العملي لانعقاد المؤتمر الثالث. وفي 4 جانفي 1905 صدر العدد الأول من الجريدة البلشفية فبريود (إلى الامام).

ومنذ ذلك الحين انقسم الحزب إلى تنظيمين متمايزين بلشفي ومنشفي لكلّ منهما

---

(59) نفس المصدر ـ ص 78

مركزه وصحافته. وكانت الخطوة الحاسمة نحو الانفصال النهائي عن الفريق الانتهازي والانقلابي (المنشفي).

لم تتوقف التباينات عند هذا الحدّ بل أضافت إليها ثورة أكتوبر 1905 جملة من الخلافات الأخرى حول التكتيك الواجب اتباعه وحول كيفية تنظيم الانتفاضة والاطاحة بالحكومة القيصرية، وتكوين حكومة ثورية مؤقتة والموقف من الفلاحين ومن البورجوازية الليبرالية... إلخ.

لقد كان من الممكن ايجاد حلّ للخلافات التكتيكية خاصة وأن المناشفة مازالوا متمسكين ببرنامج الحزب ظاهريا بالاضافة إلى أن القطيعة لم تصبح قانونية، ولم تقرّها الهيئة العليا للحزب (المؤتمر). وعلى هذا الأساس اقترح البلاشفة على المناشفة الدعوة فوريا لعقد المؤتمر الثالث وافراز خطة موحدة للحزب ككلّ على أن تلتزم الأقلية بقرارات الأغلبية فأجابوا بالنفي. حينها قرر البلاشفة دعوة جميع منظمات الحزب (بلشفية كانت أم منشفية) إلى المشاركة في المؤتمر، وفي أفريل 1905 اجتمع في لندن المؤتمر الثالث ولم تحضر أشغاله أي من المنظمات المنشفية، واستنكر المؤتمر سلوك المناشفة واعتبره عملا انشقاقيا ووصفهم «جماعة منقسمة عن الحزب». وفي نفس الوقت الذي تجري فيه أشغال المؤتمر عقد المناشفة مجلسا عاما في جينيف بسويسرا حاولوا اعطاءه صفة المؤتمر لكنهم تراجعوا عن ذلك نظرا لضآلة عدد مندوبيهم. وصف لينين الحالة وقتها بوضوح تام حين قال: «**مؤتمران فحزبان !**».

وبعد شهرين فحسب من انعقاد المؤتمر الثالث أصدر لينين مؤلفه الشهير الذي يعدّ اسهاما جديدا في إثراء الماركسية اللينينية وضع فيه بالاضافة إلى الردّ على خطة المناشفة مبادىء الخطة الماركسية في مرحلة الانتقال من الثورة البورجوازية إلى الثورة الاشتراكية وهو الأمر الذي أهل البلاشفة لقيادة ثورة 1905 التي أغرقها القيصر في الدم فتركوا في ساحة المعركة وفي السجون مئات المناضلين البواسل في حين كان المناشفة ينتقدون الثورة «بوسائل نضال سلمية».

ومع ذلك ضعفت صفوف البلاشفة من جراء القمع الأسود بينها حافظت المنظمات المنشفية على ذاتها لانها لم تشترك في قيادة الثورة.

كان العمال يناضلون ضد القيصرية ويطالبون في نفس الوقت بتحقيق وحدة الحزب، أيد البلاشفة طلبهم واقترحوا على المناشفة دعوة المؤتمر لتوحيده. فقبلوا بذلك تحت الضغط العمالي.

انعقد المؤتمر الرابع في ستوكهولم في أفريل 1906، وسمي «مؤتمر الوحدة».

«وقد اشترك فيه 111 مندوبا بأصوات فعلية يمثلون 57 منظمة محلّية للحزب وحضر المؤتمر علاوة على ذلك ممثلون من الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية القومية وهم : 3 من البوند و3 من الحزب الاشتراكي الديمقراطي البولوني و3 من المنظمة الاشتراكية الديمقراطية في ليتونيا»[60] .

وبهذه الصورة تجمعت أغلبية نسبية إلى جانب المناشفة الذين استولوا مجددا على اللجنة المركزية وهيئة تحرير الجريدة المركزية.

لقد فرضت جماهير العمال هذه الوحدة الشكلية لأنها لم تكن قد تبينت بعد حقيقة المناشفة الانتهازية. لم تتوقف انتهازيتهم على مسائل التنظيم (التي تراجعوا عنها في المؤتمر التوحيدي كتنازل منهم للبلاشفة، لما شعروا أن لهم الأغلبية) بل مست التكتيك وبعض جوانب هامة متعلّقة بمصير الثورة.

إن لينين والبلاشفة يراهنون على وعي العمال وعلى اطلاعهم عن طريق الممارسة على حقيقة المناشفة، لذلك قبلوا بالتوحد من جديد مع المناشفة وقاوموهم لما انقلبوا على إرادة الأغلبية وعلى إرادة الحزب ولم يترددوا في بعث جريدتهم الخاصة وحافظوا على تنظيم البروليتاريا المستقلّ وناضلوا في سبيل وحدة الحزب على أساس مبدئي، ولم يكن ذلك قط قبولا بالتكتلية داخل الحزب.

إن عدم أخذ هذه الظروف بعين الاعتبار والنظر للوحدة كعملية مجردة يؤدي بأصحابه حتما للوصول إلى أحكام واستنتاجات سخيفة وساذجة.

ومنذ أن حصل المناشفة على الاغلبية في المؤتمر الرابع ومسكوا بقيادة الحزب تجلّى عجزهم عن قيادة النضال الثوري ولم تجد شعاراتهم مصداقية ولم تتبعها الجماهير. وفي أيام هبوط الثورة التي دعت البلاشفة إلى الاشتراك في انتخابات الدوما الثانية لا لكي يقوموا بعمل «تشريعي» بالتكتل مع الكاديت بل لاستخدام الدوما كمنبر في مصلحة الثورة. في حين أن اللجنة المنشفية كانت تدعو إلى عقد اتفاقات انتخابية مع الكاديت وإلى تأييد الكاديت في الدوما. فعارضتها أغلب منظمات الحزب ووقفت ضدها، عندها دعا البلاشفة إلى عقد مؤتمر جديد.

«وفي ماي 1907 انعقد في لندن المؤتمر الخامس للحزب، وكان حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي في روسيا يضم إذ ذاك (مع المنظمات الاشتراكية الديمقراطية القومية) ما يقارب 150 ألف عضو، وقد حضر المؤتمر 336 مندوبا. وكان عدد البلاشفة

---

(60) نفس المصدر ـ ص 122

105، وعدد المنشفيك 97 وكان المندوبون الآخرون يمثلون المنظمات الاشتراكية الديمقراطية القومية، وهي منظمات الاشتراكيين الديمقراطيين البولونيين والليتونيين، والبوند وكانت قد قبلت في الحزب في المؤتمر السابق. حاول تروتيسكي أن يؤلّف في المؤتمر فريقا صغيرا خاصا به، يكون فريقا وسطيا أي نصف منشيفيكي ولكن لم يتبعه أحد.

وقد اجتذب البلاشفة إلى جانبهم البولونيين والليتونيين فجمعوا أكثرية ثابتة في المؤتمر»[61].

رسم المؤتمر الخامس بأكثر وضوح تكتيك الحزب في المرحلة الجديدة وعلاقته بمختلف الاحزاب والقوى الطبقية ويكون بذلك كما قال ستالين:

«جمع العمال المتقدمين في كل روسيا بصورة فعلية في حزب واحد تحت علم الاشتراكية الديمقراطية الثورية: ذلك هو مغزى مؤتمر لندن، وتلك هي صبغته العامة»[62].

وفي 3 جوان 1907 حلّت الحكومة القيصرية دوما الدولة الثانية وبدأ عهد الارهاب الأسود وملاحقة الثوريين في كل مكان فاندحرت الثورة وعمّ التفسخ والانحلال «رفاق الطريق» رفاق الثورة المؤقتين وبلغ الانحطاط المعنوي أقصاه بين المثقفين، إذ انتقل بعضهم إلى المعسكر المعادي للثورة واستغلّ ستوليبين أشدّهم جبنا ونذالة ليجعل منهم عملاء وجواسيس. ورفع رفاق الطريق راية نقد الماركسية والتهجم عليها. ومن جديد أخذ لينين على عاتقه الدفاع عن الماركسية في مؤلفه الشهير «المادية والمذهب النقدي التجريبي» وكان الاخر إثراءً للماركسية وتطويرا لتراثها الفلسفي، وكان له أثره الكبير على حياة الحزب وعلى الاخص المزيد من شدّ صفوف البلاشفة. وبذلك تكرس تفوق الماركسية على سائر الايديولوجيات والفلسفات في روسيا وخارجها.

لقد أصبح نضال الحزب خلال سنوات الرجعية أعسر بكثير من السابق وصار عدد الاعضاء في تناقص كبير بحيث غادره عدد كبير من «رفاق الطريق» وخصوصا من المثقفين خوفا من البوليس. وظهر الارتباك على المناشفة وتنكروا بصورة مفضوحة لبرنامج الحزب وشعاراته الثورية وذهبوا الى حدّ الدعوة الى تصفية الحزب السري. بينما كان البلاشفة يناضلون في سبيل الحفاظ على منظمات الحزب السرية وتقويتها واستفادوا من جميع امكانيات العمل الشرعي لتعزيز روابطهم بالجماهير يقول لينين:

---

(61) نفس المصدر - ص 124

(62) نفس المصدر - ص 130 و131 و132

«لقد عرفنا كيف نعمل خلال سنوات طويلة قبل الثورة وليس من دون سبب قيل عنا : اننا صامدون كالصخر. لقد ألف الاشتراكيون الديمقراطيون حزب عمال لا يدع للخور سبيلا اليه من جراء الفشل في أول هجوم عسكري، ولذا فهو لن يضيع صوابه ولن ينجرّ الى المغامرات»[63].

ويقول ستالين :

«لقد قام حزبنا في هذا الدور بانعطاف تحول فيه من النضال الثوري المكشوف ضد القيصرية الى طرق نضال ملتوية الى استخدام الامكانيات الشرعية من كلّ نوع وكلّ صنف: من جمعيات التأمين الى منبر مجلس الدوما. كان هذا الدور، دور تقهقر بعد اندحار ثورة 1905. وكان هذا الانعطاف يضطر الى استيعاب طرق النضال الجديدة، لكي نستطيع، عندما يتم لنا جمع قوانا، أن نشهر نضالا ثوريا علنيا ضد القيصرية».

«وقد استخدمت المنظمات الشرعية، التي ظلّت سالمة، كنوع من الملاجىء لمنظمات الحزب اللاشرعية وكأجهزة اتصال بالجماهير. واستفاد البلاشفة لأجل الاحتفاظ بهذا الاتصال من النقابات والمنظمات الاجتماعية الشرعية الاخرى: كجمعيات التأمين في حالة المرض، وتعاونيات العمال والاندية والجمعيات الثقافية ودور الشعب. واستخدموا منبر مجلس دوما الدولة للحملة على سياسة الحكومة القيصرية، وفضح الكاديت وجذب الفلاحين الى جانب البروليتاريا. وكان الاحتفاظ بمنظمة الحزب اللاشرعية وقيادة كلّ أشكال العمل السياسي الاخرى بواسطة هذه المنظمة يضمنان للحزب تطبيق خطّته الصحيحة وتهيئة القوى لأجل نهوض ثوري جديد»[64].

في مثل هذه الاوضاع الصعبة كان البلاشفة يناضلون على واجهتين : ضد أعداء الحزب المفضوحين التصفويين وضدّ أعدائه المتسترين المعروفين بالاتزوفيين (تيار يساري ينادي بالانسحاب من الدوما).

وفي ديسمبر 1908 انعقد في باريس المجلس الوطني الخامس للحزب، ودعا جميع المنظمات الى النضال بحزم ضدّ التصفويين. الا أن المناشفة تنكروا لقرارات المجلس وانحدروا أكثر فأكثر في طريق التصفية وطريق خيانة الثورة والارتماء في أحضان الكاديت فتخلّوا بصورة مفضوحة عن برنامج الحزب الثوري وعن شعارات الجمهورية الديمقراطية ومصادرة أراضي كبار الملاكين ويوم الثماني ساعات عمل. ووجدوا في تروتسكي ديبلوماسي

---

(63) نفس المصدر - ص 193

(64) نفس المصدر - ص 194

التصالح والوفاق على حساب الثورة، على حساب برنامج الحزب الثوري، على حساب البلاشفة، ولصالح الثورة المضادة وبرنامج الكاديت والمناشفة التصفويين.

وشكل تروتسكي في عام 1912 «كتلة آب» التي ضمّت كلّ الجماعات وكلّ الميولات المعادية للبلاشفة. ولمواجهة هذه الكتلة تشكلت كتلة تضم عناصر أنصار المحافظة على الحزب السري: البلاشفة وعدد صغير من «المناشفة الحزبيين» ومعهم بليخانوف.

كان نضال البلاشفة ضد التصفويين والاوتزوفيين وضد التروتسكيين يفرض عليهم تجميع قواهم لانشاء حزب بلشفي مستقلّ عن التيارات والكتل الانتهازية. لقد أصبح الانفصال الكامل عن المناشفة ضروريا لأنهم تراجعوا عن برنامج الحزب الثوري وفقدوا قاعدتهم الجماهيرية، وانكشفت حقيقتهم لدى العمال الطلائعيين لذلك أصبحت مواصلة القبول بالوحدة معهم في نطاق حزب واحد بمثابة الخيانة لقضية الطبقة العاملة، وبان من الضروري اتمام القطيعة التي بدأت منذ المؤتمر الثاني للحزب بالانفصال النهائي عنهم واعلان طردهم من الحزب. وكرّس المجلس الوطني السادس للحزب المنعقد في جانفي 1912 في براغ هذا التوجه، وحضرته أكثر من عشرين منظمة. كان المجلس بمثابة مؤتمر للحزب، انتخب لجنة مركزية وقرّر طرد المناشفة. وبذلك ظهر الحزب البلشفي الى الوجود ككيان مستقلّ عن سائر التيارات والكتل الانتهازية.

لم يكن لينين يجهل منذ أصدر مقاله «بماذا نبدأ ؟» أنه لكي يتسنى للبروليتاريا الظفر بالسلطة وبناء الاشتراكية لابدّ من حزب ماركسي لينيني حقيقي متطهر من الانتهازية والانتهازيين، متلاحم الصفوف حزب الثورة ودكتاتورية البروليتاريا. فقد كان يناضل في سبيل تهيئة الظروف الملائمة لبنائه وكسب خيرة أبناء الطبقة العاملة وتخليصهم من العقلية «الاشتراكية الديمقراطية» الاصلاحية وأساليب عملها وتنظيمها.

ويمكننا القول بدون أن نخشى الخطأ أن كلّ النضال الذي خاضه لينين والبلاشفة ضد «الاقتصاديين» والمناشفة والتروتسكيين والاوتزوفيين والمثاليين كان بالفعل تاريخ تأليف حزب البروليتاريا من الطراز الجديد، حزب من الطراز اللينيني مطهر من الانتهازية وقادر على قيادة الطبقة العاملة في الثورة وفي بناء الاشتراكية ويعود الدور الأساسي في الاعداد لانشاء مثل هذا الحزب الى لينين ولم تكن مهمّة المجلس العام السادس سوى تتويجا لسيرورة عمل التهيئة الطويل والمعقد.

ومن لم يفهم تاريخ تكون الحزب البلشفي، في ما بين 1901 و1912 بالعمق الكافي لم يفهم شيئا من اللينينية ولا من نظرية الحزب. فما بالك بالتروتسكيين الذين جعلوا من تاريخ ظهور البلشفية والحزب البلشفي تاريخ صراع كتل، ومن لينين «أنشط التكتليين»

و «أبرع الانقساميين». لأنهم ورثاء لأكسلرود ومارتينوف ومارتوف وتروتسكي وغيرهم ممن ارتدوا عن الماركسية اللينينية وخانوا الطبقة العاملة والثورة.

لقد استعار «الشيوعيون الثوريون» ورفاقهم للبنانيون أتباع الاممية الرابعة التروتسكية أسلحتهم من الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية الاءروبية القديمة والحديثة ـ التي تفسخت نهائيا ـ في نضالهم ضد نظرية الحزب اللينينية. انهم يريدون حزبا خليطا من عناصر ماركسية لينينية وأخرى انتهازية، من أصدقاء للثورة وأعداء لها. يعمل فيه الصنف الاول دوما على التصالح مع الثاني رافعا شعار «الوحدة» كي ينتهي الامر بالجميع الى مستنقع واحد، مستنقع الانتهازية. وهذا النوع من الاحزاب يعمل فقط في سبيل «اصلاحات اجتماعية» بدون أن يتعدى هذه الحدود.

صار حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي في روسيا (البلشفي)، منذ المجلس الوطني السادس كلاّ موحدا يسير بخطى ثابتة لتوحيد الطبقة العاملة وقيادتها في الثورة وفي ارساء دكتاتورية البروليتاريا.

ومنذ تأسيسه (أي منذ القطيعة النهائية مع الانتهازية) تحمل الحزب البلشفي دوره كاملا في قيادة النضال الثوري للعمال والفلاحين بهدف كنس القيصرية والبورجوازية والامبريالية كخطوة حاسمة نحو تركيز دكتاتورية البروليتاريا. بينما اصطفّ كلّ الانتهازيين وراء «حزب ستوليبين للعمال» (تسمية أطلقها البلاشفة على التصفويين) ووراء الكاديت (حزب البورجوازية الليبرالية) ولما اندلعت الحرب العالمية الاولى وقفوا وراء حكومة القيصر الاستعمارية رافعين شعار «الدفاع عن الوطن» أو «لا حرب ولا سلم» الذي أطلقه تروتسكي، في حين عمل البلاشفة على «تحويل الحرب الاستعمارية الى حرب أهلية» للاطاحة بالبورجوازيات المتحاربة. وجنّد كلّ طاقاته لتحويل هذا الشعار الجماهيري بين العمال والفلاحين والجنود، الامر الذي ساعد على انضاج عوامل ثورة فيفري 1917 التي أطاحت بالقيصر ثم ركز اهتماماته على المرور بها الى المرحلة الثانية أي الى الثورة الاشتراكية.

اننا اذا قبلنا أن الحزب البلشفي مكونة من مكونات الصراع الطبقي الدائر في المجتمع الروسي باعتباره أداة الطبقة العاملة الحاسمة في نضالها ضد القيصرية وضد البورجوازية الامبريالية. لابدّ أن نقبل أيضا بكون هذا الصراع يشق صفوفه بالضرورة ولا مناص من أن تظهر آراء ومواقف مختلفة حول قضية ما أو جملة من القضايا التي طرحتها تلك الفترة الزاخرة بالاحداث الكبرى وبثلاث ثورات طبعت الاوضاع العالمية لفترة طويلة. وليس من العجب في شيء أن تظهر داخله تيارات وتجمعات انتهازية ومعادية للحزب. ولو

كان لينين تكتليا لقبل بها وقبل التعايش معها داخل الحزب، لكنه والجميع يعلم أنه قاومها وناضل ضدها حتى آخر يوم في حياته، مدافعا عن نقاوة الحزب وثورية أهدافه وأساليب نضاله وعمله.

وفي المجلس الوطني السابع (البلشفي) المنعقد في 24 أفريل 1917 حضر المجلس 133 مندوبا بأصوات فعلية و18 بأصوات استشارية يمثلون 80 ألف عضو، كشف لينين أمام الحزب عن حقيقة الآراء والمواقف الخاطئة والانتهازية من جملة القضايا المطروحة وقتها المتعلّقة بالحزب والثورة، الوضع العام بالبلاد، الحرب، والسلم، الحكومة المؤقتة، مجالس السوفيات، المسألة الزراعية والمسألة القومية... الخ. وأعلن أن مهمة الحزب الراهنة هي تحقيق الانتقال من المرحلة الاولى للثورة «التي أعطت الحكم للبورجوازية» الى المرحلة الثانية «التي يجب أن تعطي الحكم للبروليتاريا والفئات الفقيرة من الفلاحين». وبمعنى آخر هل يتجه الحزب الى الاعداد للثورة الاشتراكية أم لا؟ وصاغ لينين «مهمة الحزب المباشرة في شعار: «كلّ السلطة للسوفيات». ووقف كاميناف وريكوف في الصف المقابل مدعيين (كالمناشفة بالضبط) أن روسيا ليست ناضجة للثورة الاشتراكية وأن الجمهورية البورجوازية هي وحدها الممكنة في روسيا. ووقف زينوفياف أيضا ضدّ لينين عندما دعا الحزب البلشفي، الى الخروج من جناح زيمرفالد اليساري للاممية الثانية نظرا الى ان جلّ الاحزاب التي شاركت في هذا الاجتماع التحقت ببرجوازياتها «الدفاع عن الوطن»،والى طرح شعار «تكوين أممية أخرى: الاممية الشيوعية». كما عارض بياتاكوف وبوخارين موقف لينين والحزب فيما يتعلّق بـ «حق الأمم في تقرير مصيرها بنفسها».

وفضح المجلس العام كلّ هذه المواقف ووافق على الآراء التي قدمها لينين من كلّ القضايا.

فهل يعدّ مثل هذا النقاش ومثل هذا الاختلاف في الرأي، والوصول في النهاية الى موقف موحد، قبولا بالتكتلية؟ كلّا ان الاختلاف في الآراء داخل الحزب بامكانه أن يظهر أمام أي قضية من قضايا الصراع الطبقي. ويحسم بالنقاش الحر والديمقراطي وبخضوع الاقلية للأغلبية عندما يتعلّق الأمر بمسائل جزئية أو تكتيكية أو تقديرية. أما اذا انتقل الاختلاف الى الجوهر، الى المبادىء الايديولوجية والنظرية والى البرنامج فان الحلّ يكون اما بطرد العناصر المعارضة لخطّ الحزب العام وتنقية صفوفه منها أو بالانشقاق الثوري اذا ما انزلقت الاغلبية في مستنقع الانتهازية.

أين هي التكتلية اذن عند لينين فيما يخص الاختلاف مع «البلاشفة القدامى»؟. انها ليست موجودة الا عند «الشيوعيين الثوريين» وأشقائهم الشرقيين وغيرهم من أعداء الطبقة العاملة والثورة والاشتراكية.

تطوّرت الاوضاع في روسيا بعد ثورة فيفري 1917، وانتهت مرحلة ازدواجية السلطة لصالح البورجوازية لما انتقلت كلّ السلطة بين أيدي الحكومة المؤقتة وتحوّلت مجالس السوفيات بقيادة المناشفة والاشتراكيين الثوريين ـ الذين يسميهم العمال بازدراء «اشتراكيين سجانين» ـ الى ذيل للحكومة. وانتهت بذلك مرحلة التطور السلمي للثورة وحلّت مرحلة الكفاح المسلح. فكان لابدّ مع تبدل الاوضاع أن يعدل الحزب البلشفي خطته فانتقل الى السرية وأخذ يعدّ للثورة المسلحة للاطاحة بحكم البورجوازية واقامة السلطة السوفياتية.
وفيما بين 26 جويلية و3 أوت 1917 انعقد المؤتمر السادس للحزب، بعد انقضاء 10 سنوات على المؤتمر الخامس وبعد مرور 5 سنوات على المجلس الوطني البلشفي، ودارت أشغاله في السرية. بدأت جلساته الاولى في حي فيبورغ وجلساته الاخيرة في مدرسة بالقرب من باب «نارفا» وكان لينين يقود المؤتمر من مخبئه في كوخ قرب محطّة رازليف بالاعتماد على ستالين ومولوتوف وغيرهما من قادة الحزب الثابتين.

أقرّ المؤتمر سحب شعار «كلّ السلطة للسوفيات» مؤقتا وأكّد أنه لا يعني التخلّي عن النضال في سبيل ارساء سلطة السوفيات. وأعلن ستالين «أن المرحلة السلمية للثورة قد انتهت وأقبلت المرحلة غير السلمية مرحلة المعارك والانفجارات. . .» وهكذا توجه الحزب البلشفي الى الاعداد الفعلي للثورة المسلحة.

ولا يمكن أن تجري كلّ هذه التحولات دون أن تظهر اختلافات في الرأي داخل الحزب، ودون أن يظهر أناس أربكتهم البورجوازية فعارضوا خط الحزب. وكان بريو براجنسكي (التروتسكي) أول الداعين الى الاشارة في القرار المتعلّق بالاستيلاء على السلطة أنّه لا يمكن القيام بثورة اشتراكية الا اذا اندلعت الثورة في أهم البلدان الاوروبية. رفض المؤتمر اقتراحه وردّ عليه ستالين بقوله :

«ليس هناك ما ينفي امكان أن تكون روسيا بالذات هي البلد الذي يشق الطريق الى الاشتراكية ينبغي نبذ الفكرة البالية القائلة بأن أوروبا وحدها يمكن أن تدلّنا على الطريق. هناك نوعان من الماركسية، ماركسية عقائدية جامدة وماركسية حية، وأنا أقف في صف الاخيرة».

أما بوخارين فقد زعم أن الفلاحين متكتلون مع البورجوازية ولن يتبعوا الطبقة العاملة. وردّ عليه ستالين بأن الفلاحين منقسمون الى صنفين الاغنياء الذين يؤيدون البورجوازية والفقراء الذين يؤيدون الطبقة العاملة ويتحالفون معها في النضال من أجل انتصار الثورة الاشتراكية.

وعالج الحزب هذه الخلافات بالنقاش وحسمها طبقا لارادة الاغلبية :

«ووافق المؤتمر السادس على قبول جماعة «الميجر أيونتسي» (ما بين الفروع) وزعيمهم تروتسكي في الحزب وكانت هذه الجماعة الصغيرة موجودة في بتروغراد منذ عام 1913 وكانت مؤلفة من منشفيك وتروتسكيين وعدد من البلاشفة القدماء الذين كانوا قد تركوا الحزب. وكان موقف هؤلاء «الميجر أيونتسي» أثناء الحرب موقف منظمة وسطية، كانوا يناضلون ضد البلاشفة ولكنهم على خلاف مع المنشفيك حول نقاط عديدة، أي أن موقفهم كان موقفا يتوسط قطبين، موقفا وسطيا متردّدا. لقد أعلن «الميجر أيونتسي» في المؤتمر السادس، أنهم متفقون والبلاشفة على كلّ النقاط وطلبوا قبولهم في الحزب فاستجاب لطلبهم ظنا منه أنهم ربما أصبحوا مع الايام بلاشفة حقيقيين. وبالفعل أصبح البعض منهم مثل فولد ايرنسكي وأورينسكي وآخرين أيضا بلاشفة بينما تروتسكي وبعض أصدقائه المقربين دخلوا الحزب لا بهدف العمل لفائدته بل لتمزيق أوصاله ونسفه من الداخل»[65].

لم تسند العضوية لتروتسكي وجماعته باعتبارهم كتلة لها أرضيتها الخاصة المعارضة للحزب بل تم على أساس تخلّيهم عن أرضيتهم الخاصة وبعد أن تبنوا برنامج الحزب وخطّته ونظامه الداخلي. فأين التكتلية أو القبول بها في شأن تروتسكي وجماعته عند لينين والبلاشفة؟. إنها موجودة فقط في دعاوي «الشيوعيين الثوريين» الباطلة وأمثالهم من أتباع الاممية الرابعة التروتسكية.

ان عودة تروتسكي الى صفوف الحزب لا غرابة فيه اذا علمنا ان الثورة جلبت الى الحزب أعدادا غفيرة من المناضلين الذين لهم أصل طبقي بورجوازي صغير (مثقفين وكادحين وفلاحين. . . الخ) وآخرين كانوا ينتمون الى منظمات وأحزاب بورجوازية صغيرة (مناشفة، اشتراكيين ثوريين وغيرهم). ولم يجد الحزب الوقت الكافي لاعادة تربيتهم لانشغاله بالأوضاع الصعبة التي أصبحت تواجهها دولة دكتاتورية البروليتاريا (العدوان الامبريالي، الحرب الاهلية، الخراب الاقتصادي. . . الخ) فوجد المندسون الفرصة سانحة لتكوين فرقهم الخاصة المعادية للحزب، وهكذا ظهر على التوالي التروتسكيون و«الشيوعيون اليساريون» بزعامة بوخارين، في النقاش حول صلح برست ليتوفسك، حين رفعوا شعار «لا حرب ولا سلم» (شعار رفعه تروتسكي) «الحرب الثورية الفورية ضد الامبريالية» (شعار رفعه بوخارين) لذلك شنوا حربا ضد توقيع المعاهدة. يقول لينين:

ساعدا (تروتسكي وبوخارين) في الواقع الاستعماريين الالمان، وعرقلا تقدم الثورة وتطورها في ألمانيا».

---

(65) نفس المصدر ـ ص 283

ولأجل تصفية مسألة السلام بصورة نهائية عقد الحزب مؤتمره السابع الذي افتتح أشغاله في 6 مارس 1918 حضره 46 مندوبا بصوت فعلي و58 مندوبا بأصوات استشارية يمثلون 145 ألف عضو. في حين كان عدد أعضاء الحزب اذ ذاك ما لا يقلّ عن 270 ألف. وسبب هذا الفرق هو الحاحية عقد المؤتمر في أسرع وقت ممكن الامر الذي حرم العديد من المنظمات الحزبية من بعث ممثلين عنها. بالاضافة الى عدم تمكن المنظمات في المناطق الواقعة تحت الاحتلال الالماني من الالتحاق بالمؤتمر.

وافق المؤتمر على مقترح لينين حول اتفاقية صلح براست ليتوفسك، واستنكر مواقف وأعمال تروتسكي وبوخارين و«الشيوعيين اليساريين» وحذرهم من مغبة متابعة عملهم الانقسامي.

وظهر في المؤتمر التاسع جماعة «المركزية الديمقراطية» التي وقفت ضدّ القيادة الموحدة في الصناعة وضدّ المسؤولية الشخصية لمديري الصناعة ودافعت عن فكرة «قيادة جماعية» لا حدود لها، وعن عدم تعيين تحديد المسؤولية في قيادة الصناعة، فلم تجد نظرياتها صدى يذكر ورفضت مواقفها.

ومع تعقد الاوضاع وتفاقم الصعوبات أمام الدولة السوفياتية الفتية ظهرت فرقة جديدة «المعارضة العمالية».

وهكذا وجد الحزب نفسه في المؤتمر العاشر أمام فرق صغيرة معارضة للحزب تعرقل نشاطه وتبث البلبلة في صفوفه برز زعماؤها كهواة مناقشة حاولوا ابعاد الحزب عن العمل وفرضوا عليه مناقشات في غير وقتها فكان على الحزب أن يضع حدا للمهاترات والتكتلات الانتهازية داخله، وكان على اللينينية أن تستكمل نظريتها حول الحزب وذلك بتقنين رعاية وحدته في النظام الداخلي.

وفي هذه الاوضاع انعقد المؤتمر العاشر في 8 مارس 1921، وحضره 694 مندوبا بأصوات فعلية يمثلون 733،521 عضوا كما حضر 296 مندوبا لهم أصوات استشارية.

وافتتح لينين المؤتمر بقوله: «إن المناقشة كانت ضربا من الترف غير المقبول وأن الاعداء كانوا يضعون كلّ أملهم في بث الانقسامات داخل الحزب بهدف الوصول الى أغراضهم الخاصة».

وأمام هذا الخطر الذي أصبح يهدّد وحدة الحزب ودكتاتورية البروليتاريا من جراء وجود هذه الفرق، اهتم المؤتمر اهتماما خاصا بقضية الوحدة واستنكر الاعمال الانقسامية لجميع الفرق وأشار الى أنها «في الواقع كانت تساعد أعداء الثورة البروليتارية الطبقيين «وأقرّ في النظام الداخلي منع التكتلات وأكد **«ان من لا ينضبط لهذا القرار يرفت من الحزب مباشرة»**

ومنذ ذلك التاريخ أصبح قرار المؤتمر العاشر بندا من البنود المبدئية التنظيمية التي تقوم عليها الاحزاب اللينينية، وأصبح يمثل خط الفصل بينها وبين الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية.

لم يكن قرار منع التيارات والكتل داخل حزب البروليتاريا وليد أوضاع ظرفية (صعوبات الدولة السوفياتية) بل كان في الاساس تتمة للمبادىء التنظيمية للحزب المجمعة في قوانينه الداخلية. وهو في تطابق تام مع نظرية الحزب اللينينية.

لكن لماذا لم يظهر هذا الاجراء من قبل كما هو الشأن بالنسبة للفقرة الاولى من النظام الداخلي؟ يتبين الدارس لتاريخ البلشفية عامة ولنظرية الحزب اللينينية خاصة (باعتبارها موضوع الدراسة الحالية) أن وضعها استوجب ما يزيد عن العشر سنوات. انها لم تنجز دفعة واحدة بل تمت على مراحل وذلك حسب تطور الصراع الفكري والنظري والايديولوجي والسياسي والتنظيمي داخل الحركة الاشتراكية الديمقراطية الممثلة في حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي وداخل الحركة الاشتراكية الديمقراطية العالمية. وحسب تطور الصراع الطبقي.

كانت الفقرة الاولى من النظام الداخلي أول نقطة صدام مع الانتهازية التنظيمية المنشفية لأنّها تمس مباشرة حدود الحزب وبالتالي طبيعته بينما لم تظهر الحاجة الى تقنين حظر الكتل لا في طور التأسيس (1898 ـ 1912) ولا في السنوات الاولى من حياة الحزب البلشفي، لأن البلاشفة كانوا موحدين ومشدودين بمبادئهم النظرية والسياسية والتنظيمية ويعالجون خلافات الرأي طبقا لقانون المركزية الديمقراطية ولم يعرف الحزب الكتل الا بعد انتصار الثورة التي اجتذبت الى صفوفه أعداد كبيرة من العناصر التي انتمت الى الفرق البورجوازية الصغيرة. وتشكل العديد من هذه العناصر في مجموعات وفرق معادية للحزب، عندها تبين لينين ومعه الحزب البلشفي الحاجة الماسة الى استكمال النظام الداخلي ببند يحجر التكتل والتيارات تماشيا مع جملة المبادىء الايديولوجية والنظرية والسياسية والتنظيمية للحزب ومع طبيعته الطبقية. وهو يدلّ على أن قرار المؤتمر العاشر لم يكن ظرفيا بل كان دعما وتمتينا لوحدة الحزب وحمايته من مخاطر التكتل والانقسام. وهو اجراء يمكن الحزب من سلاح ضد كلّ أعدائه الداخليين وعملاء البورجوازية المتسلّلين الى صفوفه بهدف تقسيمها وتشتيتها.

وبذلك نكون قد بينا بالاعتماد على الماركسية اللينينية وعلى التجربة التاريخية وعلى الاحداث والوقائع أن مزاعم التروتسكيين (الشيوعيين الثوريين وغيرهم) القائلة بأن الحزب اللينيني مبني على أساس التعدد والتكتل والتيارات... الخ باطلة ولا صلة لها بالماركسية

اللينينية بل هم استعاروا مبادئهم من الاشتراكية الديمقراطية الاصلاحية. ومثلهم التنظيمي الاعلى يبقى نمط الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية التي تحولت منذ العقد الاول لهذا القرن من أحزاب ثورة الى أحزاب اصلاحات.

II - «الشيوعيون الثوريون» وطبيعة الثورة القادمة:

ارتكب «الشيوعيون الثوريون» في تحديدهم لطبيعة الثورة القادمة خطأين فادحين من الزاوية النظرية والسياسية، يتعلّق الاول بطبيعة السلطة القائمة والثاني بمراحل الثورة.

1 - حول طبيعة السلطة القائمة :

لم يرتكب تروتسكيونا في الحقيقة خطأ في تحديد طبيعة السلطة القائمة بل كان كامل بنائهم النظري خاضعا لقوالب جامدة استقوها من تروتسكي وساعدهم في صياغتها على الوجه الأكمل أشقاؤهم اللبنانيون جماعة «التجمع الشيوعي الثوري» فاذا بسلطة حزب الدستور «بونابارتية» واذا ببورقيبة «بونابارت» تونس. وبمقتضى ذلك أعيدت قراءة التاريخ بما يتناسب وهذا القالب. فكان ولابدّ أن يجد لنا الجماعة صياغة خاصة بظهور البونابارتية في تونس ووجدوا ضالتهم في ترجمة بعض الاحداث والظواهر على هواهم.

وقبل أن نتناول بالردّ على تزويرهم للتاريخ والوقائع نودّ وضع النقاط على الحروف حول ظاهرة «البونابارتية».

أولا : كان ماركس تناول ظاهرة «بونابارت» بالتحليل باعتبارها افرازا جديداً من افرازات الصراع الطبقي. لقد بين أن الطبقات المتصارعة على السلطة السياسية بالامكان أن يصل ميزان القوى فيما بينها الى نقطة التوازن بحيث لا غالب ولا مغلوب، عندها تظهر السلطة وكأنّها فوق الطبقات لا هي بورجوازية ولا هي «شعبية». وأكد ماركس أن هذا التوازن لا يمكنه أن يعمر طويلا، ولابدّ أن يحسم في النهاية لصالح احدى الطبقتين المتصارعتين. ويتحوّل أصحاب السلطة من موقع «ما فوق الطبقات» الى رجال تنفيذ لسياسة الطبقة التي هيمنت في نهاية المطاف وتحول ميزان القوى لصالحها.

ان التاريخ لم ينجب فقط بونابارت بل أنجب كيرانسكي في الثورة الروسية الثانية في فيفري 1917. الا أن ميزان القوى الذي مال الى جهة البورجوازية الروسية بعد مرحلة ازدواجية السلطة، سرعان ما قلبته البروليتاريا لصالحها وتمكنت من ارساء سلطتها الخاصة بينما حسم في عهد بونابارت لصالح البورجوازية الفرنسية التي أغرقت الطبقة العاملة في الدم.

اننا اذا قبلنا بمنطق الاشياء واعتمدنا المادية الجدلية والمادية التاريخية في تحليل الظواهر

نلاحظ بدون عناء أن ظاهرة بونابارت عابرة أنتجها ميزان القوى المتعادل بين البورجوازية وبين البروليتاريا وتزول هذه الظاهرة باختلال التوازن في هذا الاتجاه أو ذاك.

كيف اكتشف اذن «الشيوعيون الثوريون» أن السلطة في تونس بونابارتية سواء في «عزّ شبابها» او في «شيخوختها وتعفنها»؟ فهل ظلّ ميزان القوى متعادلا خلال 30 سنة وزيادة من الحكم البورقيبي؟

ثانيا : عندما حلّل ماركس الظاهرة البونابارتية لم يكن جهاز الدولة البورجوازي مثقلا ببيروقراطية ساهرة على شؤونها وذلك لأن البورجوازية مازالت تعمل على تطوير أجهزتها وجعلها تتلاءم والدور الذي أصبحت تلعبه في المجتمع، ولم تظهر البيروقراطية بشكل مكثف في فرنسا البورجوازية الا مع بونابارت فكانت ظاهرة جديدة في جهاز الدولة. لذلك رأى ماركس وأنجلز امكانية مرور أجهزة السلطة، في أمريكا مثلا، بين أيدي البروليتاريا، بصورة سلمية لأنّها لم تتحوّل الى آلة خاصة ثقيلة جاثمة على كاهل المجتمع، كما هو الشأن بالنسبة لفرنسا، بل كانت ترتكز على اللجان الشعبية التي لم يتم انتخابها كما لم يكن هناك جيش خاص بل كان يعتمد على المتطوعين من الشعب المسلح.

وعندما تطور جهاز الدولة وأصبح أكثر تنظيما (ادارة، بوليس، جيش، سجون... الخ) لم تعد ثمة امكانية لتحول السلطة بصورة سلمية بين أيدي الطبقة العاملة ولم يعد لا الجيش المنظم ولا البيروقراطية ولا البوليس ولا السجون وغيرها، ظواهر لم تكتمل بل أصبحت أدوات ملازمة للدولة البورجوازية لذلك طرح ماركس وأنجلز تحطيم جهاز الدولة البورجوازي تحطيما كاملا وتعويضه بآخر يمثل ويدافع عن مصالح البروليتاريا.

ثالثا : كان ماركس حلّل ظاهرة بونابارت في أواسط القرن الماضي تحليلا عميقا وفسّر كلّ الافرازات الجديدة للصراع الطبقي في حين أن جماعتنا التروتسكية أعادت بعد قرن وثلث القرن، تحاليل ماركس لسير الصراع الطبقي في فرنسا وأكثر من ذلك وضعت أهم استنتاجاته وملاحظاته في قوالب جامدة سلّطتها على الواقع في بلادنا.

لقد نسي «الشيوعيون الثوريون» أن ماركس حلّل البونابارتية في عصر الرأسمالية التنافسية، بينما نعيش عصر الامبريالية والثورة الاشتراكية، عصرا أصبح فيه جهاز الدولة البورجوازية متطورا بدرجة كبيرة، تستعمل فيه الطبقات السائدة وفي جميع الوظائف تقريبا أخصائيين يدافعون عن مصالحها، في عصر أصبح جهاز الدولة يحتكر جزءا من وسائل الانتاج وفي بعض الاحيان يحتكرها جميعها، وذلك بحكم اندماج الاحتكارات الكبرى بجهاز الدولة ذاته.

ان النقل النصي للماركسية يعدّ تحريفا لها وانحدارا بها الى مصاف «الكتب المنزلة».

وهو بالتالي معاداة لها لا أكثر ولا أقل. ولاطلاع المناضلين والقراء بصفة عامة على صورة من هذا النقل لدى أشقاء الجماعة اللبنانيين نورد هذا الاستشهاد المطول:

«وقد ميز ماركس وأنجلز بين أنواع شتى من البونابارتية كتمييزهما بين بونابارتية نابليون الاول «الثورية» وبونابارتية لويس بونابارت المحافظة المنحطة.

إن دراسة مؤلّف ماركس الشهير «الثامن عشر من برومير لويس بونابارت» هي خير مدخل إلى فهم طبيعة الأنظمة العسكرية القومية التي شهدتها منطقتنا العربية. فسوف يجد الدارس أن جميع العناصر الأساسية التي شكلت الظاهرة الناصرية والظواهر الشبيهة بها موجودة في الظاهرة التي حلّلها ماركس: الانقلاب العسكري، الاستناد إلى الفلاحين المتمسكين بقطعة الارض، البيروقراطية، الاستفتاءات الشعبية... إلخ.

وكل من يقرأ في منطقتنا الأسطر التالية لا يمكنه اغفال مدى انطباقها على الظواهر الرائجة عندنا. وهي الأسطر التي يحدد فيها ماركس ميزات السلطة البونابارتية بوصفها بيروقراطية تحكم بالنيابة عن البورجوازية، من حيث الجوهر:

البيروقراطية الضخمة، التي تنعم بالحلل الموشاة والطعام الطيب، إنها هي أقرب «فكرة بونابارتية» إلى نفس البونابارت الثاني. وكيف يمكن أن يكون الأمر بخلاف ذلك ونحن نراه مرغما على أن يخلق إلى جانب الطبقات الفعلية في المجتمع فئة مغلقة اصطناعية تصبح المحافظة على حكمه بالنسبة لها مسألة رزق وعيش».

«وأخيرا إن «الفكرة النابوليونية» الجوهرية هي غلبة الجيش. إن الجيش كان مناط العزة للفلاحين الصغار: كان الجيش يجعل منهم أبطالا يدافعون عن ممتلكاتهم الجديدة ضد الاعداء الخارجيين ويمجدون الوحدة القومية التي اكتسبوها مؤخرا، وينهبون الدنيا وينفخون فيها روح الثورة...»

هذا بالنسبة لجيش «البونابارت الثاني» يستطرد ماركس قائلا:

«فالجيش نفسه لم يعد زهرة شباب الفلاحين إنه زهرة مستنقع حثالة البروليتاريا الريفية»، «... إن مهمة هذا الرجل المتناقضة هي تفسر الاجراءات المتناقضة لحكومته التي تتصرف على غير هدى وتسعى تارة لتكسب وطورا لتذلّ أولا هذه الطبقة ثم تلك، وتنتهي إلى جعلها تنتفض جميعا ضده في آن واحد...»[66].

يلاحظ القارىء وهو يتتبع هذه الفقرات كيف جعل التروتسكيون من ظواهر لاحظها ماركس في أواسط القرن الماضي قوالب ومقاييس عامة يقرؤون بها ظواهر ظهرت في الشطر

---

(66) مسائل النهج الثوري «التجمع الشيوعي الثوري في لبنان» ـ ص 4 ـ 5

الثاني من القرن العشرين : الجيش البيروقراطية، وعجزوا عن فهم الاستخلاصات العامة التي خرج بها ماركس في ابداعه «الثامن عشر من برومير» ولم يقدروا على فهم أهمية التحليل الملموس للواقع الملموس الذي مكّن ماركس من فهم الظاهرة البونابارتية وتجنب الجمود العقائدي والنصية. فقادهم تحنيطهم للماركسية والقوالب الجامدة التي اقتبسوها وأول ما بدأوا بالبحث عمن يعطونه دور «البونابارت» حتى وإن لم يكن عسكريا ووجدوه في شخص بورقيبة. ورد في «الشرارة» ما يلي :

«في هذه الظروف (أي تحول تونس من مستعمرة إلى مستعمرة جديدة - من عندنا) شهد دور بورقيبة تغييرا تدريجيا. ففي صلب المعسكر «البورقيبي» نفسه أصبح بورقيبة يمثل الحكم بين مختلف التوجهات وعبر تجاوزه لاطار الاستقلال الداخلي وبتبني العديد من الاجراءات الديمقراطية البورجوازية والوطنية على المستوى السياسي والاقتصادي أي عبر تحقيق جزئي «لبرنامج» بن يوسف استطاع بورقيبة اعتلاء موقع موضوعي كان فوق كلا المعسكرين الموجودين وبذلك صار الحكم الاكبر والموحد. لكن بعلوّه عن المعسكرين فإن بورقيبة لم يتبوّأ فقط موقعا فوق معسكر «قومي» وآخر «استعماري جديد» لأن طبيعة هذين المعسكرين لا تخضع لمثل هذا التقسيم البياني بل إن بورقيبة قد اعتلى موقعا فوق التصدع الذي اعترى كلا المعسكرين التناقض بين الطبقات والقوى «الملكية» و«الما قبل رأسمالية» الرجعية والقوى التي كانت تتطلّع إلى تطور الرأسمالية وبناء «دولة عصرية» (على نمط الملكية الدستورية أو الجمهورية). إن بورقيبة لم يتمكّن من فرض نفسه كحكم أكبر إلا في خضمّ سيرورة شهدت تداخلا لاجراءات «ديموقراطية وطنية» وقمعا للحركة اليوسفية وفيما بعد لكل نفس معارض»(67).

ولتأكيد وجاهة استنتاجاتهم استشهدوا بتدخل لأحمد بن صالح في المجلس التأسيسي لمّا تمّ تكليف بورقيبة بتكوين الحكومة حين قال :

«إن أول رئيس للحكومة سوف يبقى دائما قائدنا وحكما بيننا عند اختلافنا»(68).

وأضاف الجماعة :

«وبهذا عبّر الكاتب العام للاتحاد العام التونسي للشغل في هذه الكلمات عن جوهر النظام الذي يراد بناؤه.»(68)

كان لا بدّ للجماعة أن يصنعوا كيانات سياسية تخلق لهم توازنهم في نطاق القوالب

---

(67) «الشرارة» عدد 2 - ص 32

(68) نفس المصدر - ص 35

النظرية البالية التي يتبنونها فأخرجوا بورقيبة من حلبة الصراع وجعلوه فوق الطبقات وممثلا لها جميعا وحكما بينها.

بورقيبة الذي قاد تحوّل تونس من مستعمرة إلى مستعمرة جديدة على رأس توابعه في حزب الدستور، هذا الشق الذي أصبح يحمل اسم الحزب الأب بعد أن أخذ مقاليد السلطة وفكّك الحركة اليوسفية. لم يعد يمثل لا البورجوازية الصغيرة ولا الحركة الوطنية، بل أصبح يمثل مصالح البورجوازية العميلة ومصالح الاحتكارات والامبريالية العالمية. وبورقيبة كان رأس حربة هذا التحول ومع ذلك ينتشله «الشيوعيون الثوريون» ليضعوه فوق الجميع.

لقد اعتمدوا في ذلك على الصراعات التي ظهرت قبيل المجلس التأسيسي وبعده داخل حزب الدستور ـ الشق البورقيبي ـ حول المدى الذي ستأخذه الحريات في دستور البلاد وحول العلاقة بين الجهاز التنفيذي والجهاز التمثيلي... الخ وهي مسائل تتعلّق بالشكل الذي ستأخذه سلطة الدولة: الشكل الفاشي أم الشكل الليبرالي.

كان بورقيبة مع مخلصيه يدافعون عن الشكل الدكتاتوري الفاشي لكن ليس بالصورة المكشوفة، بل غلّفه «بالثقة» الواجب توفرها في الزعيم... الخ. بينما لم يكن للمدافعين عن الشكل الليبرالي رأس يلتفون حوله، سرعان ما تراجعوا أمام الضغط الذي مارسه بورقيبة عليهم.

ومع فشل تجربة الليبرالية الاقتصادية في نهاية الخمسينات وظهور «الاشتراكية الدستورية» كان بورقيبة خطا بحزبه خطوة حاسمة في مصادرة الحريات العامة فوضع كافة المنظمات الجماهيرية تحت مراقبته وحول «الاقتراع» و«التمثيلية» إلى عملية شكلية ومسرحية للمغالطة والتمويه ولتزكية وتشريع إرادة الطغمة الماسكة بالسلطة وبذلك يكون بورقيبة قد مرّ بالسلطة من الشكل «النيو ليبرالي» إلى الشكل الفاشي.

يكون من الخطأ الاعتقاد أن تحالف الشق البورقيبي مع القادة النقابيين ومع بعض الوجوه الليبرالية والوطنية التي ارتكبت لم يكن ذا أثر على سياسات السلطة الجديدة حتى أواخر الخمسينات. لقد أجبر على القيام ببعض التنازلات ـ بالاضافة إلى ثقافته الخاصة ـ للحركة النقابية والحركة الشعبية فقام باصلاحات (تعليم، صحة، مرأة... الخ) وأجبر على الاسراع بعقد اتفاقية «الاستقلال» وأفرغه من محتواه وذلك في 20 مارس 1956. كان في حاجة إلى مثل هذه الاصلاحات كي يشدّ إليه الطبقة العاملة والشعب ويسحب البساط من تحت أقدام معارضيه اليوسفيون والليبيراليون والزعماء النقابيين الذين أصبحوا يطالبون باصلاحات أعمق. فكسب منهم ما يمكن كسبه وأباد البقية بالقمع والارهاب

والاغتيالات. . . الخ. ومن هذه الزاوية يمكن القول أن سنوات 1956 إلى 1961، كانت سنوات تحول بطيء في ميزان القوى بين الطبقات وفي شكل السلطة الذي يكرسه. وشهدت سياسة السلطة خلال هذه الفترة كثيرا من الاضطراب وسببه لا يعود إلى الصراع الحاد بين البورجوازية والطبقة العامة أو إلى توازن القوى فيما بينهما، بل يعود بصفة أساسية إلى الصراع في صفوف البورجوازية نفسها، وبين ممثليها أي بين الشق اليوسفي الذي كان يمثل البورجوازية الوطنية والشق البورقيبي الذي يمثل البورجوازية العميلة والامبريالية. ولم يحسم أمر هذا الصراع نهائيا إلا في أواخر الخمسينات. ويعود الاضطراب في سياسة السلطة أيضا إلى صراع النفوذ في صفوف الشق الماسك بالسلطة.

كانت الطبقة العاملة أيام حركة التحرر الوطني تحت قيادة البورجوازية الصغيرة، أي في النهاية تحت قيادة البورجوازية المعارضة للاستعمار الممثلة وقتذاك في «البورجوازية الوطنية» ثم تذيلت إلى الشق البورقيبي الذي عقد حلفا مع القادة النقابيين ضد صالح بن يوسف في نطاق المشروع الاستعمار الجديد. وهو لدليل قاطع على أن السلطة الجديدة لم تكن نتاج توازن القوى في الصراع الذي قابل البورجوازية بالطبقة العاملة حتى تكون بونابارتية بل كانت سلطة البورجوازية العميلة وأداتها حزب الدستور بزعامة بورقيبة. أين هي إذن البونابارتية في النظام البورقيبي ؟ إن الاضطراب جليّ في تقديرات الجماعة التروتسكية للنظام السياسي في بلادنا فهم يؤكدون مرة على بونابارتيته وطورا ينفون ذلك يقولون في مشروع برنامجهم :

«لقد أدت اتفاقية 1956 إلى انتقال الهيمنة الامبريالية على بلادنا من شكلها المباشر إلى شكل غير مباشر. وقد أصبحت تونس على اثرها في مصاف المستعمرات الجديدة. وقام بالدور الأساسي في هذا التحول حزب الدستور الذي استطاع تصفية المعارضة لتلك الاتفاقيات والهيمنة على المنظمات الجماهيرية بعون أكيد من الامبريالية، وشرع في بناء دولة بورجوازية استعمارية جديدة مستعملا ومطورا المؤسسات والاجهزة التي تركها الاستعمار المباشر، هذه المؤسسات التي ظهرت منذ البداية كمؤسسات قمعية ولم تكن قط من قبيل الديمقراطية البورجوازية. .»[69].

لقد أكد «الشيوعيون الثوريون» على أن الدولة هي دولة استعمارية جديدة وأضافوا أن السلطة معدّة لحماية مصالح البورجوازية ورعايتها عن طريق «مؤسساتها القمعية» الموجهة ضد الجماهير. والبونابارتية حسب تعريفهم تقمع هذه الطبقة وتلك وتدافع عن

---

(69) الشرارة عدد 1 ـ ص 13

مصالحهما في نفس الوقت. أين هي البونابارتية في السلطة التي تدافع عن البورجوازية وتقمع الطبقة العاملة؟ هل بالامكان أن تكون فوق الطبقات؟ ومع ذلك وجدوها:

«إن بونابارتية السنوات الأولى للنظام المستندة للطبقة العاملة والبورجوازية الصغيرة الراديكالية لم تعد غير ذكرى بعيدة (وكأننا بهم يتحسرون عليها - من عندنا -) ومن البونابارتية لم تبق غير البونابارت الآفل وجهاز بيروقراطي مرتكز على بورجوازية صغيرة جبانة ونفعية»[70].

غريب أمر الجماعة الذين اكتشفوا البونابارتية بعد أكثر من 30 سنة من الحكم البورقيبي، استثرت فيها كل العناصر ذات الاصل البورجوازي الصغير وأصبحت من مكونات البورجوازية الكبيرة العميلة. ومع ذلك يواصل التروتسكيون الحديث عن البونابارتية «الشابة» و«الآفلة». إنهم يجهلون أن سلطة رأس المال التي ينعدم فيها دور المؤسسات التمثيلية وتصادر فيها حرية التنظيم والتعبير والتظاهر... إلخ. ويستحوذ فيها الحزب الحاكم على المنظمات الجماهيرية، ويحكم فيها الشعب بالقمع والارهاب هي سلطة فاشية. ومن الأكيد أن جماعتنا التروتسكية تخلط بين البونابارتية والفاشية، ولا يفهمون أن هذه الاخيرة هي شكل من أشكال سلطة الدولة البورجوازية.

إن كل خطأ في تحليل طبيعة السلطة القائمة تنجرّ عنه بدون أدنى شك سياسة خاطئة تؤدي بأصحابها إلى مأزق أو إلى الصف المعادي للثورة. والجماعة التروتسكية لم تقم بخطأ في قراءة الواقع بل طوعته لقوالبها الجامدة وصنفته حسبما يخدم مصالحها السياسية. ومن دون شك أن «الشيوعيين الثوريين» يتذكرون نظرية «الدخولية» التي دعا لها أقطاب التروتسكية في منظمة «آفاق - العامل التونسي» ونظرية «المساندة النقدية» التي يدعو لها الحزب «الشيوعي» التونسي. وفي سنوات «سياسة التفتح» دخل «الماركسيون الثوريون» أو «الشيوعيون الثوريون» «التجمّع الاشتراكي» الذي كان صنيعة «التفتح».

ظهرت كل هذه المواقف في صلب «اليسار الماركسي» لأن كلّ هذه المجموعات عوضت الماركسية اللينينية بالقوالب الجامدة وأضافت إليها انتهازيتها السياسية والنفعية والجبن في بعض الاحيان. وعلى هذا النحو يتحول المدعون على الثورة والشيوعية إلى مجرّد عملاء للبورجوازية، ومخربين لصفوف الثورة.

---

(70) الشرارة عدد 5 - ص 12

2 ـ علاقة الثورة الديمقراطية الوطنية بالثورة الاشتراكية، والقوى المحركة لها :

أ ـ كيف عجز تروتسكيونا عن فهم طبيعة الثورة المقبلة :

يقول «الشيوعيون الثوريون» في ورقة برنامجهم :

«لقد أدت اتفاقيات 1954 إلى انتقال الهيمنة الامبريالية على بلادنا من شكلها المباشر إلى شكل غير مباشر. وقد أصبحت تونس على اثرها في مصاف المستعمرات الجديدة. وقد قام بالدور الأساسي في هذا التحول حزب الدستور الذي استطاع تصفية المعارضة لتلك الاتفاقيات والهيمنة على المنظمات الجماهيرية بعون أكيد من الامبريالية وشرع في بناء دولة بورجوازية استعمارية جديدة مستعملا ومطورا المؤسسات والاجهزة التي تركها الاستعمار المباشر»[71].

يذهب إلى ظن كل مطلع على هذه الاسطر ان الجماعة يتحدثون عن الهيمنة الامبريالية على بلادنا، وعن تحول تونس من مستعمرة إلى مستعمرة جديدة، وكأنهم يريدون التدليل على أن مهمة التحرر الوطني والقضاء على الهيمنة الامبريالية مازالت قائمة كاحدى المهمتين الاساسيتين للثورة القادمة باعتبار أن الامبريالية كما هو واضح من خلال التحليل تمثل العائق الرئيسي أمام تطور القوى المنتجة في البلاد وأمام تحقيق مطامح شعبنا في العزة والكرامة الوطنية وفي استقلال فعلي. ويضيف الجماعة :

« . . . أما المسألة الفلاحية التي تحتلّ في بلادنا كما في عدة بلدان أخرى أهمية فائقة فيمكن القول أن البورجوازية الحاكمة لم تقم باصلاح زراعي جذري، بل إن ما قامت به هو مواصلة لما بدأه الاستعمار المباشر من تركيز لعلاقات الانتاج الرأسمالي في قطاعات واسعة من الريف التونسي ليغذي مصالح البورجوازية المحليّة والاحتكارية. . . »[72].

وكأن «الشيوعيين الثوريين» يريدون شدّ انتباهنا إلى أهمية دور الفلاحين في الثورة، بما أنهم يقرون أن الاصلاح الزراعي لم يتمّ وأن بقايا أنماط الانتاج ما قبل الرأسمالي مازالت موجودة في المدينة والريف، الأمر الذي يجعل القارىء يتصور أن «أصدقاءنا» يضعون المهمة الديمقراطية في المكانة التي تعود لها في الثورة القادمة باعتبارها مهمة أساسية، خاصة وأن جمهور الفلاحين يشكل الغالبية في الريف وفي المجتمع.

إن الثورة القادمة ببعديها الديمقراطي والوطني تهم الشعب بأسره. لذلك فإن أي حزب ثوري لا يضع في برنامجه انجاز هاتين المهمتين يفقد طابعه الثوري. لنر أين وضعها

---

(71) الشرارة عدد 1 ـ ص 13

(72) نفس المصدر السابق ـ ص 13

تروتسكيونا في برنامجهم ؟ يقولون :

«... **الثورة في البلدان المتخلّفة ومنها تونس هي ثورة دائمة بمعنى اشتراكية في الأساس تحلّ عرضا خلال سيرورتها المهمات الديمقراطية بقيادة الطبقة العاملة وسلطتها دكتاتورية البروليتاريا الديمقراطية الثورية. (...)**

إن المجتمع التونسي هو مجتمع رأسمالي تابع وأن نمط الانتاج المهيمن في التشكيلة الاقتصادية والاجتماعية هو نمط الانتاج الرأسمالي وبالتالي فإن الثورة القادمة ستكون اشتراكية في الأساس من حيث قيادتها الطبقية ومضمونها السياسي ومهامها الاستراتيجية»[73].

وفي البيان البرنامج استنتجوا مهام أخرى :

«**إن علاقات الانتاج في بلادنا تشكل نمط انتاج رأسمالي تابع ومرتبط عضويا بالامبريالية وينتج عن هذا مجمل المهام الاستراتيجية وهي كالاتي :**

أ ـ المهام الوطنية والمتمثلة بالأساس في ضرب الهيمنة الامبريالية على بلادنا.

ب ـ المهام الديمقراطية وتتمحور حول نقطتي الاصلاح الزراعي والمجلس التأسيسي...» [74].

لم يتوقف التضارب لدى «الشيوعيين الثوريين» عند حدود تحديد المهمة ونقيضها بل تجاوزه إلى تحليل المجتمع وتحديد طبيعة الثورة. لقد أقروا أن تونس مستعمرة جديدة تهيمن عليها الامبريالية وأن الاصلاح الزراعي لم ينجز وكل ما في الامر أن النظام الجديد واصل دور البورجوازية الاحتكارية. ومعالجة هذا الوضع منطقيا من قبل الثورة يقتضي انجاز المهمتين الرئيسيتين التاليتين : التحرر الوطني والتحرر الاجتماعي. وهما تحددان المرحلة الاستراتيجية التي تمرّ بها الثورة وبالتالي طبيعة هذه الاخيرة. لكن الجماعة لامسوا المهمتين الاساسيتين مجرد ملامسة وقفزوا على الواقع. وعوض اقرارهم بأهمية انجاز الثورة على أحسن وجه في مرحلتها الاولى باعتبارها توفر القاعدة الثابتة للثانية، تجاهلوا أو قل دمجوها مع مهام المرحلة الموالية. فأصبحت طبيعة الثورة القادمة ثورة «اشتراكية دائمة» تتولى انجاز المهام الوطنية والديمقراطية عرضا في طريقها. وخطأ «أصدقائنا» أنهم لا يعرفون امكانية لتحقيق الثورة على مراحل الامر الذي أدى بهم إلى تصور أحادي يحرق المراحل ولا يعترف بغير «الثورة الاشتراكية الدائمة».

---

(73) الشرارة عدد 2 ـ ص 16

(74) الشرارة عدد 1 ـ ص 13

لقد زاد تطور الرأسمالية وبلوغها مرحلتها العليا، ودخولنا عصر الامبريالية والثورة الاشتراكية، العلاقة بين مراحل الثورة متانة . وذلك بحكم انتهاء عصر الثورة البورجوازية من النمط الكلاسيكي وظهور عهد الثورة الاشتراكية الذي أصبحت فيه الثورات المعادية للامبريالية وعملائها المحليين جزءا لا يتجزأ منها، ومع ذلك تبقى لكل مرحلة خاصياتها الاساسية وهي كالاتي :

أولا : إن الثورات القديمة كانت موجهة ضد الاقطاع بهدف فرض سيادة رأس المال وتكوين سوق وطنية، وبعث دولة قومية أو متعددة القوميات، بينما الثورات الحديثة موجهة بصفة أساسية ضد الامبريالية وضد بقايا أنماط الانتاج الما قبل رأسمالية، بهدف تحقيق التحرر الوطني والاجتماعي.

ثانيا : كانت الثورات القديمة (أي ثورات البورجوازية الصاعدة) تحت قيادة البورجوازية المناهضة للمجتمع الاقطاعي والمبشرة بمجتمع جديد على طرازها، وبذلك لم تخرج أهدافها عن بناء مجتمع طبقي جديد : المجتمع البورجوازي. بينما الثورات الحديثة بعد أن أصبحت البورجوازية رجعية على طول الخط، تحولت القيادة إلى الطبقة العاملة ـ أي قيادة الثورة البورجوازية ـ. ورغم أن هدف البروليتاريا هو الاشتراكية فإنها تتكفل بانجاز مهمتي التحرر الوطني والاجتماعي على أحسن وجه ـ وهما مهمتان بورجوازيتان ـ بدون أن تتوقف في منتصف الطريق ـ أي في حدود المهمات البورجوازية ـ بل تفتح الطريق إلى الثورة الاشتراكية وإلى بناء المجتمع الاشتراكي فالشيوعي.

إن التحول الكبير الذي شهدته الثورة العالمية في عصرنا ـ عصر الامبريالية والثورة الاشتراكية ـ هو الذي جعل العلاقة بين مرحلتيها وثيقة الارتباط وأوكل للطبقة العاملة الدور القيادي في كلتا المرحلتين وأعلن أن الثورة البورجوازية من النمط القديم دخلت أرشيف التاريخ.

لقد اعتبر مجادلونا («الشيوعيون الثوريون») تحول الثورة البورجوازية إلى ثورة اشتراكية «بدعة ستالينية» (كذا) وماوية يقولون :

«فهذه الاطروحة هي من الاطروحات التحريفية الهجينة التي صاغتها الاممية الثالثة بعد لينين والتحريفية الستالينية والماوية في الصراع ضد الشيوعيين الثوريين والثورة الاشتراكية»[75].

(75) الشرارة عدد 1 ـ ص 15

هنالك أحد أمرين، إما أن الجماعة يجهلون اللينينية والستالينية ومقررات الأممية الثالثة ـ ولا عذر لهم عن جهلهم ـ أو أنهم يزيفونها عنوة ويحرفونها، وفي كلتا الحالتين يقفون إلى جانب البورجوازية ضد الطبقة العاملة. إن الخداع أو الجهل سرعان ما ينقلب على أصحابه عند انجلاء الحقيقة. والوقائع تبين أن تروتسكيينا لم يحترموا أنفسهم ولا قراءهم ولا حتى متطلبات الحقيقة العلمية.

كان لينين أول من وضع فكرة امكانية تحويل الثورة البورجوازية الديمقراطية إلى ثورة اشتراكية في 1905، مجسما بذلك فكرة الثورة الدائمة الماركسية، يقول لينين:

«... دون أن نسقط في المغامرية ودون أن نخون وعينا العلمي أو نلهث وراء شعبية سهلة، لا يمكننا القول ولا نقول إلا شيئا واحدا: بكل قوانا نساعد كل الفلاحين على القيام بالثورة الديمقراطية، حتى يسهل علينا نحن، حزب البروليتاريا المرور بأسرع ما يمكن إلى مهمة جديدة وأرقى ـ إلى الثورة الاشتراكية»[76].

وفي سنة 1915 ورد له مقال بعنوان «خطان للثورة» ما يلي:

«تناضل البروليتاريا وستناضل بكل تفان في سبيل السلطة، ومن أجل الجمهورية وانتزاع الأرض... ومن أجل تشريك «الجماهير الشعبية غير البروليتارية» في تحرير روسيا البورجوازية من نير «الامبريالية» الاقطاعية العسكرية (القيصرية). وسوف تستفيد البروليتاريا مباشرة من هذا التحرر لروسيا من نير القيصرية ومن سلطان الملاكين العقاريين الكبار على الأرض، لا لمساعدة الفلاحين المترفهين في صراعهم ضد العمال والفلاحيين وإنما لانجاز الثورة الاشتراكية»[77]

ثم عاد مجددا لنفس الفكرة بالتوضيح في عام 1921 حين قال:

«لم يستطع الكاوتسكيون (...) فهم العلاقة بين الثورة الديمقراطية البورجوازية والثورة الاشتراكية البروليتارية. الأولى تتحول إلى الثانية تحلّ في طريقها مشاكل الأولى، الثانية تدعم عمل الأولى»[78].

ولما أوضح لينين العلاقة المتينة بين مرحلتي الثورة أكد أن المرور من هذه إلى تلك لا يتم بصورة عفوية أو آلية بل يخضع لشروط ضبطها منذ 1905 حين قال:

«عندما ننجز الثورة الديمقراطية ندخل في الحال ـ حسبما تسمح به قوانا وقوى

---

(76) مسائل اللينينية، ستالين ـ ص 163

(77) مسائل اللينينية، ستالين ـ ص 39

(78) مسائل اللينينية، ستالين ـ ص 163

البروليتاريا الواعية والمنظمة ـ طريق الثورة الاشتراكية. نحن مع الثورة المستمرة ولا نتوقف في منتصف الطريق. . .» [79].

ويعود لينين لمزيد ضبط هذه الشروط ثانية في مؤلفه «الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي» يقول :

«إن الرغبة في إقامة جدار صيني بصورة مفتعلة بين مرحلتي الثورة وفصلهما بغير درجة اعداد البروليتاريا ودرجة وحدتها مع الفلاحين الفقراء تعني تشويها للماركسية وتحقيرا لها والاستعاضة عنها بالليبرالية» [79].

فلينين وهو ينظر للثورة على مراحل ـ ومن بعده ستالين والاممية الثالثة ـ لم يدع قط إلى الوقوف في منتصف الطريق بل كان يركز اهتمامه على كيفية استغلال الطاقات الثورية للفلاحين حتى النهاية في كل مرحلة من مراحل الثورة وتهيئة الظروف الانسب للمرور بسرعة من الأولى إلى الثانية وضمان نجاحها. لذلك وضع لينين في المقام الأول درجة استعداد البروليتاريا الواعية والمنظمة ودرجة متانة تحالفها مع الفلاحين في الثورة البورجوازية الديمقراطية ومع الفلاحين الفقراء في الثورة الاشتراكية باعتبارهما شرطا أساسيا لنجاح الاولى وتحولها إلى الثانية.

إن المسألة في نظر قادة البروليتاريا العالمية هي كيفية توفير الظروف الملائمة لانجاح الثورة وبالتالي كيفية تكتيل القوى الثورية للطبقة العاملة والفلاحين للإطاحة بالعدو الرئيسي وفتح الطريق أمامها للتقدم بثبات على درب التحرر الوطني والاجتماعي وبناء مجتمع اشتراكي خال من الاستغلال والاضطهاد ومن كل تمييز بين البشر. بينما يبحث تروتسكي والتروتسكيون على الصيغ المجردة التي لا علاقة لها بقوانين الصراع الطبقي وعلى النقاوة والقفز على المراحل وتشتيت قوى الثورة باستصغار طاقات الفلاحين الثورية.

ومما سبق يتبين أن تحول الثورة من مرحلتها الأولى إلى الثانية لم تكن بدعة ستالينية أو تحريفا قامت به الأممية الثالثة للمبادىء الماركسية بل كانت تواصلا واثراءً لها. وكان لينين هو أول من قام بهذه المهمة منذ 1905 وواصل ستالين والاممية الثالثة نفس المهمة وسارا بنفس التعاليم. في حين لم يفهم تروتسكي العلاقة بين مرحلتي الثورة ولا كيفية المرور من الاولى إلى الثانية وذلك منذ 1905 لما وضع نظرية «الثورة الدائمة» التي نادى فيها بضرورة المرور مباشرة إلى الثورة الاشتراكية، وبقي على هذا الحال إلى آخر يوم في حياته وواصل أتباعه خطأه وسوء فهمه.

---

(79) مسائل اللينينية، ستالين ـ ص 39

إن الخلط المقصود بين اللينينية والستالينية وبين الماوية في هذا المجال، ليس سوى محاولة بائسة لتشويه ستالين والاممية الثالثة ووضعهما في مصاف المحرفين والدخلاء على الفكر الشيوعي.

ب ـ لم يفهم تروتسكيونا دور الطبقة العاملة القيادي في الثورة :

اعتمد «الشيوعيون الثوريون» في رفضهم المرحلة الأولى من الثورة ـ الطور البورجوازي الديمقراطي ـ والحاق مهامها بالاشتراكية على الدور القيادي للطبقة العاملة في عصر الامبريالية والثورة الاشتراكية كي يستنتجوا أن طبيعة الثورة القادمة هي ثورة اشتراكية تحلّ عرضا في طريقها المهمات الديمقراطية والوطنية. وخطيئتهم تكمن في أنهم يقرنون آليا بين الدور القيادي للطبقة العاملة وبين طبيعة الثورة وطبيعة السلطة التي ستتولد عنها.

لقد أدى بهم هذا الخلط إلى أن لا يروا إلا نمطا واحدا من السلطة المنبثقة عن الثورة في أي من مرحلتيها ألا وهو دكتاتورية البروليتاريا. في حين أن السلطة المنبثقة عن الثورة الديمقراطية الوطنية بقيادة الطبقة العاملة لا يمكن أن تكون دكتاتورية البروليتاريا بل هي الدكتاتورية الثورية للشعب أي العمال والفلاحين، وهي تمثل نواة دكتاتورية البروليتاريا لأن قيادة الطبقة العاملة للثورة في مرحلتها الاولى تساعد على انجاز مهماتها بصورة جذرية وتعزيز تنظيم العمال بقيادة حزبهم الماركسي اللينيني وتوطيد تحالفهم مع الفلاحين الفقراء. وبذلك تتوفر شروط المرور إلى المرحلة الموالية أي الاشتراكية وبالتالي المرور بالسلطة من الدكتاتورية الشعبية إلى دكتاورية البرليتاريا القائمة على تحالف العمال والفلاحين الفقراء. ومن دون شك فعندما تضطلع الطبقة العاملة بقيادة الثورة، يصبح المرور من المرحلة الاولى إلى الثانية يتم في الأساس بصورة سلمية باعتبار أن السلطة المنبثقة عن الأولى لا تمثل مصالح الطبقات الاستغلالية بل مصالح الطبقات الكادحة والمضطهدة (بفتح الهاء) وهي بالتالي تمثل الثانية في شكلها الجنيني. إلا أن ملكة الادراك عند الجماعة توقفت وأصبحوا عاجزين عن فهم كيف تحولت الديمقراطية الشعبية إلى ديمقراطية بروليتارية. نقرأ لهم في احدى انتقاداتهم لنا ما يلي :

«... ألم يتساءل مناضلو «........» عن كيفية ذلك التحول (أي من دولة ديمقراطية شعبية» إلى دولة «الديمقراطية الاشتراكية» من عندنا) أكان بصورة سلمية أم بصورة ثورية ؟ على حد علمنا أنه وفي أرض الواقع لم تقع ثورة ثانية في ألبانيا. بل إن الدولة القائمة في ألبانيا اليوم هي من حيث طبيعتها الطبقية نفسها منذ قيام الثورة، إذ لم يقع تحطيمها واستبدالها بجهاز دولة جديد»[80].

---

(80) طريق الشرارة (الشر الثو. جناح القطيعة) عدد 1 ـ ص 33

بكل هذه السطحية الساذجة يفهم «الشيوعيون الثوريون» العلاقة بين مراحل الثورة، الامر الذي أدى بهم إلى انكار التحولات الجوهرية التي شهدتها ألبانيا منذ انتصار الثورة، وبقوا يترقبون إلى اليوم قيام ثورة مسلحة ثانية كي تطيح بسلطة «العمال والفلاحين» وتركز سلطة العمال والفلاحين الفقراء (أو بصفة أخرى أنصاف البروليتاريين) (كذا) وسبب هذا العقم يعود إلى أنهم ضيقوا أفقهم إلى أبعد حد ممكن ولم يقدروا على استخلاص الدروس البارزة من الثورات الروسية الثلاثة و الثورات في العالم التي جرت بعد أكتوبر 1917.

إن تحول الثورة بصورة سلمية من مرحلتها الأولى إلى الثانية لا يمكن أن يتم الا في حالة ما اذا كانت الطبقة العاملة في قيادة العملية الثورية، ولنا مثالان يمكناننا من وضع النقاط على الأحرف في هذه المسألة:

المثال الأول هو سير الثورة في روسيا: أطاحت ثورة فيفري 1917 بالقيصرية وأعلنت تحرير روسيا البورجوازية من نير الامبريالية والاقطاع، وكان للعمال والفلاحين دور أساسي فيها لكن السلطة آلت في النهاية للبورجوازية الليبرالية لأن المناشفة والاشتراكيين الثوريين الذين حازوا على الأغلبية في السوفيات خانوا العمال والفلاحين وتنازلوا عن القيادة وعن السلطة لفائدة البورجوازية الليبرالية.

«**فنشأ عن ذلك تشابك طريف بين السلطتين بين الدكتاتوريتين، دكتاتورية البورجوازية الممثلة في الحكومة ودكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الممثلة في سوفيات نواب العمال والجنود، كان هناك ازدواج في السلطة**»(81)

ان الازدواج في السلطة الذي نشأ على اثر ثورة فيفري لا يمكن له ان يعمّر طويلا ولا بدّ له أن ينتهي بمركزتها إما بين أيدي الحكومة المؤقتة أو بين أيدي السوفيات، وبما أن سياسة التفاهم الطبقي التي انتهجها المناشفة والاشتراكيون الثوريون ما زالت تلقى التأييد الجماهيري، رأى لينين أن مهمة الحزب يجب أن تتركز على اقناع الجماهير بأن مجالس السوفيات يجب أن تكون الشكل الوحيد للحكومة الثورية المؤقتة كما يجب تخليصها من سياسة التفاهم مع البورجوازية وتكثيف العمل من أجل تغيير ميزان القوى داخلها لصالح البلاشفة.

لم يدع لينين في تلك المرحلة «**الى الثورة المسلحة على الحكومة المؤقتة التي كانت تتمتع آنذاك بثقة مجالس السوفيات، لم يكن يدعو الى قلب هذه الحكومة بل كان يريد عن طريق**

---

(81) تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي - دار الشرق الجديد للطباعة والنشر - بيروت لبنان 1979 - ص 255

الايضاح وكسب الانصار، احراز الأكثرية في مجالس السوفيات وتعديل سياسة هذه المجالس، ومن ثمّ بواسطتها تغيير تركيبة الحكومة وسياستها» (82)

وهذا يعني أن لينين كان يريد دفع الثورة نحو التطور بصورة سلمية واستغلال كل الامكانيات الثورية المتاحة ومنذ أن ظهرت أزمة الحكومة المؤقتة في جوان 1917، وأغرقت العمال والجنود المتظاهرين في الدم في جويلية وشنت هجوما واسعا على الحزب البلشفي، أذنت بانتهاء الازدواجية في السلطة. وانتهت الازدواجية لصالح البورجوازية بحيث انتقلت كل السلطة الى الحكومة المؤقتة وتحولت السوفياتات بقياداتها المنشفية والاشتراكية الثورية إلى ذيل الحكومة.

وبذلك تكون قد انتهت مرحلة التطور السلمي للثورة.

وحيال تبدّل الأوضاع، عدّل الحزب البلشفي خطته فانتقل الى العمل السري وأخذ يستعدّ للثورة للاطاحة بسلطة البورجوازية. واقامة السلطة السوفياتية.

لقد أطاحت الثورة الشعبية في فيفيري 1917 بالقيصرية ـ كانت ثورة ديمقراطية بورجوازية ـ ووفرت امكانيات عريضة للمرور بها إلى المرحلة الاشتراكية. فقد تطورت في البداية بصورة سلمية نظرا للازدواجية في السلطة بين مجالس السوفيات، وبين الحكومة المؤقتة البورجوازية ولما انتهت الازدواجية وتمركزت السلطة بين أيدي البورجوازية انتهت مرحلة التطور السلمي للثورة وأصبحت الانتفاضة هي المطروحة لحلّ التناقضات الاساسية التي تحكم المجتمع الروسي وقتذاك، وتحقق ذلك في أكتوبر 1917.

هكذا يمكن القول أن الثورة الديمقراطية البورجوازية في روسيا ـ فيفري 1917 ـ تحولت إلى ثورة اشتراكية في اكتوبر 1917 بصورة سلمية في البداية ثم بصورة عنيفة منذ جويلية 1917 ووصلت إلى الانتفاضة المسلحة في اكتوبر 1917.

ان سير الثورة الروسية وصيغ تحولها من مرحلة إلى اخرى لا يمكن حصرهما في قوالب جامدة أو تعريفات نصية. ساهمت الطبقة العاملة بقسط كبير في ثورة فيفري الا أنها لم تكن لها الكلمة الفصل في تحديد مآل الثورة مباشرة لانها لم تتولّ القيادة نظرا لوجود أغلبية مجالس السوفيات بين أيدي المناشفة والاشتراكيين الثوريين الذين خانوا مطالبها وأهدافها وأصبحوا يمثلون البورجوازية الصغيرة واذيال البورجوازية الليبرالية.

ولهذه الأسباب اخذ سير تحول الثورة من مرحلتها الأولى : الديمقراطية البورجوازية الى مرحلتها الثانية : الاشتراكية، مسارا معقدا من الطور السلمي فيما بين فيفري وجوان

---

(82) نفس المصدر

1917، ثم دخل طوره العنيف فيما بين جويلية ـ اكتوبر 1917 وتوّج في النهاية بالثورة البروليتارية العظمى.

المثال الثاني يخص الثورة الألبانية :

احتل الفاشيست الطليان البانيا ثم عوضه النازيون. فلم يقف الشعب الألباني مكتوف الأيدي بل نهض للنضال في سبيل تحرير وطنه بقيادة حزبه الشيوعي ـ حزب العمل اليوم ـ الذي تأسس في 8 نوفمبر 1941 حدد الحزب الناشيء مهمته الاستراتيجية في تلك المرحلة التاريخية التي يمرّ بها النضال الطبقي والوطني كالآتي :

«الكفاح في سبيل الاستقلال الوطني للشعب الألباني والحكومة الديمقراطية الشعبية في البانيا متحررة من الفاشية» [83]

كان الحزب حدّد هذا الهدف بناء على التناقض الرئيسي الذي يحكم المجتمع ومن أجل حلّ هذا التناقض الرئيسي وتحرير الشعب والوطن من نير الاحتلال ومن الذين كانوا في خدمته، وعمل على توحيد كل القوى الوطنية.

«لنتوحد مع كل الوطنيين الذين يريدون بالفعل ألبانيا حرة، مع كل الألبانيين الذين يريدون البانيا حرة، مع كل الألبانيين النزهاء الذين يريدون مكافحة الفاشية» [84]

وهكذا برزت فكرة جبهة التحرر الوطني التي تبلورت عبر النضال والتي أصبحت تعبر على الحاجة الملحة لتطوير الكفاح التحرري. وبفضل عمل الحزب التوضيحي والتعبوي والكفاحي ضد الغزاة الفاشيست، أرسى الوحدة الكفاحية للشعب الألباني. فكانت الخطوة الحاسمة التي قام بها في هذا الشأن عندما دعت لجنته المركزية الى عقد ندوة للتحرر الوطني التي انعقدت في 16 سبتمبر 1942 ضمّت إلى جانب الشيوعيين، وطنيين من اتجاهات مختلفة فانتخبت الندوة مجلسا عاما مؤقتا للتحرر الوطني وتبنى بالاجماع الارضية التي اقترحها الحزب. ومما جاء فيها :

«لمجالس التحرر الوطني أهمية كبيرة، منها تتألف الحكومة التي تعبىء الشعب حولها للنضال والانتفاضة» [85].

ومع تطور الاوضاع نحو النضج الثوري دعت اللجنة المركزية للحزب الى اجتماع المجلس العام الذي انعقد في 4 جويلية 1943 بلابينو، وقرر بالاجماع تكوين هيئة أركان

---

(83) تاريخ حزب العمل الالباني، نشر «نعيم فراخيري» تيرانا 1971، ـ ص 98
(84) تاريخ حزب العمل الالباني، نشر «نعيم فراخيري» تيرانا 1971 ـ ص 11
(85) تاريخ حزب العمل الالباني، نشر «نعيم فراخيري» تيرانا 1971 ـ ص 133

عامة لجيش التحرير الوطني وانتخب أنور خوجا مفوضه السياسي. وبذلك تمركزت القيادة الاستراتيجية والعملية للكفاح المسلح ضد المحتل وأعوانه، الأمر الذي أعطى لجيش التحرير اكثر فاعلية وساعد على انضاج الظروف من أجل الانتفاضة المسلحة العامة : وكلما أصبحت جبهة التحرير وجيشها الشعبي أكثر فاعلية في النضال المعادي للفاشية وعملائها الا وازداد الشعب وعلى الاخص الفلاحون التفافا حول سياسة الحزب.

وفي الندوة الثانية لمجالس التحرر الوطني المنعقدة فيها بين 4 و 8 سبتمبر 1943 رفع شعار :

«من أجل أن تكون مجالس التحرر الوطني السلطة الوحيدة للشعب في ألبانيا»

وفيها بين 24 و 28 فيفري 1944 وطبقا لاقتراح الحزب الشيوعي الالباني انعقد في مدينة «بارمات» أول مؤتمر للتحرر الوطني مغاد للفاشية وانتخب المؤتمر المجلس المعادي للفاشية للتحرر الوطني باعتباره أعلى هيكل تشريعي وتنفيذي للبلاد وباعتباره ممثلا لسيادة الشعب والدولة الألبانية وكلف المجلس بتكوين لجنة التحرر الوطني المعادية للفاشية تقوم بدور الحكومة الديمقراطية الشعبية المؤقتة وانتخب أنور خوجا رئيسا لها.

«ان قرارات المؤتمر الأول حول انشاء الدولة الديمقراطية الشعبية وحول تكوين المجلس المعادي للفاشية والحكومة الديمقراطية المؤقتة لم تكن مجرد مراسيم. فالدولة الألبانية الجديدة وهيئاتها العليا كانت نتيجة النضال التحرري الثوري للشعب الالياني تحت قيادة الحزب الشيوعي» (86)

وعلى اساس الخط العام الذي سارت عليه ثورة الشعب التحررية تم تحرير كامل التراب الألباني في 29 نوفمبر 1944 وتركزت السلطة الديمقراطية الشعبية في ألبانيا.

وتمثل هذه السلطة دكتاتورية العمال والفلاحين بقيادة الطبقة العاملة الممثلة في حزبها الشيوعي.

«أصبح الفلاحون الخزّان الاساسي والقوة العسكرية الأساسية للنضال في سبيل التحرر الوطني وأمتن سند للطبقة العاملة وللحزب الشيوعي الألباني» (87)

يقول أنور خوجا :

«في ظروف بلادنا يكون النصر حليف الطبقة التي تكسب الفلاحين الى جانبها» (88)

---

(86) تاريخ حزب العمل الالباني، نشر «نعيم فراخيري» تيرانا 1971 ـ ص 223

(87) تاريخ حزب العمل الالباني، نشر «نعيم فراخيري» تيرانا 1971 ـ ص 248

(88) تاريخ حزب العمل الالباني، نشر «نعيم فراخيري» تيرانا 1971 ـ ص 248

إن النظام السياسي الجديد في ألبانيا يوجد كليا بين أيدي القوى الديمقراطية الثورية وعلى رأسها الحزب الشيوعي. وعلى هذا الأساس فإن النظام الجديد لا يمثل دكتاتورية ديمقراطية للقوى الثورية وإنما هو نظام يحمل نواة دكتاتورية البروليتاريا التي تنمو بسرعة.

لقد أنجزت المرحلة الاولى من الثورة بالاستيلاء على السلطة وعند القيام بالاصلاح الزراعي لفائدة الفلاحين.

وبما أن الطبقة العاملة كانت في قيادة هذه المرحلة من خلال حزبها الشيوعي الذي كان ملهمها ومنظمها وقائدها، أصبحت مسألة المرور الى المرحلة الاشتراكية من الثورة مربوطة بمدى استعداد الحزب لذلك وبمدى متانة تحالف العمال والفلاحين. أتت الاجراءات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية وغيرها التي اتخذتها السلطة السياسية لتمتن هذا التحالف وتذكي الصراع الطبقي ضد البورجوازية التي كانت ضعيفة التركيبة ومشتتة الصفوف الامر الذي مكّن الطبقة العاملة في ظرف وجيز من تفكيكها نهائيا والقضاء عليها كطبقة. لم يترقب الحزب إنهاء كل المهمات الديمقراطية على اخرها لكي يمرّ الى تحمل مهمات البناء الاشتراكي، بل ركّز على ما هو أساسي منها وملح: المهمات الديمقراطية والمعادية للامبريالية والاقطاع، والتي يعتبر إنجازها امتدادا وتواصلا للثورة الشعبية.

وفي نفس الوقت بدأ بإحداث تغييرات اشتراكية: تأميم أهم قطاعات الانتاج، مراقبة الدولة للانتاج والتوزيع تأميم أهم وسائل الانتاج، إحداث المراقبة العمالية، تأميم البنوك وممتلكات واسهم الشركات والرأسماليين الاجانب بدون تعويض.

اتخذت كل هذه الاجراءات فيما بين 1944 ـ 1945. وبدت من الزاوية الشكلية إجراءات ديمقراطية. لكن وبما أن الطبقة العاملة كانت هي القائد وتمكنت من تحويلها لصالح الكادحين وفي خدمتهم فقد أخذت التأميمات طابع مشركة أهم وسائل الانتاج، وبهذه الصورة ظهر القطاع الاشتراكي الى الوجود الذي سيعوض خلال السنين الموالية القطاع الخاص الرأسمالي. وبالفعل ما إن حلت سنة 1947 حتى اندثر كليا الانتاج الصناعي الرأسمالي الخاص وعوضه الانتاج الاشتراكي.

والى جانب القطاع الاشتراكي للدولة ظهر القطاع التعاوني (المرحلة الاولى نحو المشركة) في المدينة (تعاونيات استهلاكية) وفي الريف مراكز بيع وشراء، كما ظهرت تعاونيات الحرف التي غطت في 1946 أكثر من نصف الحرفيين. وفي ماي 1946 صدر قانون يعمّق الاصلاح الزراعي يقضي بانتزاع أراضي الذين لا يعملون فيها بأنفسهم وتوزيعها على الفلاحين.

ومع ظهوروتوسع القطاع الاشتراكي أصبحت ضرورة ملحة تنظيم تخطيط الحياة الاقتصادية في البلاد، وفي أوت 1946 صدر قانون حول المخطط الاقتصادي العام للدولة وحول هيئاته. . . الخ.

إن مشركة أهم وسائل الانتاج قضت نهائيا على الهيمنة الاقتصادية للبورجوازية ووفرت القاعدة الاقتصادية لدكتاتورية البروليتاريا. كما أن الاصلاح الزراعي وتعميقه وفّر قاعدة متينة لتحالف العمال والفلاحين الفقراء وأعطى بالتالي قاعدة اجتماعية صلبة لدكتاتورية البروليتاريا.

هكذا جرى التحوّل الاشتراكي في ألبانيا بدون ثورة مسلحة. لم تكن البروليتاريا في حاجة لذلك كي تقود الثورة الى مرحلة أرقى. كانت تتحكم في سيرها ونسقها، تقوم بالاجراءات الديمقراطية الثورية وفي نفس الوقت ترتب إعادة البناء الاقتصادي على قاعدة اشتراكية وتدعّم تحالفها مع الفلاحين الفقراء وبقية الشعب لتطهّر جهاز الدولة والسلطة من المندسين البورجوازيين، وتضرب مقاومة البورجوازية اقتصاديا وسياسيا.

تركزت دكتاتورية البروليتاريا عبر سيرورة سلمية (أي تحول سلمي - بمعنى ما)، وتعززت بدون الالتجاء الى ثورة مسلحة.

لقد أوضحنا من خلال المثال الروسي والمثال الالباني كيفية المرور بالثورة من مرحلتها الديمقراطية الى مرحلتها الاشتراكية عبر سبيلين عنيف وسلمي وذلك حسب الموقع الذي تحتله الطبقة العاملة في المرحلة الاولى، رأينا كيف التجأت الى الانتفاضة المسلحة في روسيا لان قيادة الثورة الديمقراطية أفلتت من بين يديها لتؤول للبورجوازية، ثم رأينا كيف جرى التحوّل السلمي في ألبانيا نظرا لان الطبقة العاملة الممثلة في حزبها الشيوعي الماركسي اللينيني كانت في قيادة الثورة الوطنية المعادية للفاشية، وهو يؤكد كيف أن الجماعة التروتسكية لا تهمها المبادىء النظرية ولا مسيرة الثورة وسيرها في الواقع بقدر ما هم متعلقون بقوالب جامدة أدت بالحركة التروتسكية أن تلعب دور المخرب في صلب الحركة العمالية والشيوعية العالمية وكانت ولا زالت الى جانب التحريفية الحديثة رأس حربة البورجوازية ضد الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي سابقا وفي ألبانيا حاليا، ولن يتخلى تروتسكيونا عن هذا الدور المحموم لحركتهم مهما كانت الخلافات التي تفصل مجموعات الفريق الواحد كما هو الحال بين «الشرارة» و«طريق الشرارة».

ج - القوى المحركة للثورة :

يقول لينين : «**إن المسألة الاكثر أهمية لكل ثورة هي مسألة سَلطة الدولة**».
ولكي يعالج الحزب البروليتاري هذه المسألة لابد له من تحديد الطبقة أو الطبقات

التي تمسك بالسلطة ومن الواجب الاطاحة بها، وكذلك الطبقة أو الطبقات التي تناضل من أجل افتكاك السلطة وتحديد العلاقات الطبقية التي تحكم الصراع فيما بينها.

وعلى أساس ذلك يضبط شعاراته الاستراتيجية الاساسية التي تحل تناقضات هذه المرحلة أو تلك من الثورة.

لنرى كيف تناول «الشيوعيون الثوريون» هذه المسألة ؟ يقولون :

«يمكن نعت طبيعة الثورة القادمة في بلادنا بأنها ثورة دائمة تحققها دكتاتورية البروليتاريا المستندة الى الفلاحين الفقراء وسائر الفئات الشعبية».

«... إن دور الطبقة العاملة حاليا في تونس محوري في كل النضالات المطلبية الاقتصادية والسياسية، إن الطبقة العاملة هي الطبقة الوحيدة الثورية الى النهاية وهي القادرة على قيادة تحالف شعبي واسع وتحقيق الانتصار النهائي. إن هذا التحالف الشعبي الذي تقوده الطبقة العاملة سيكون مؤلفا من الفلاحين الفقراء وخاصة إنصاف البروليتاريين منهم ومن البورجوازية الصغيرة المدينية التي تزيدها هيمنة البورجوازية سحقا وخرابا» (89)

إن الطبقات والفئات الاجتماعية، التي يعوّل عليها التروتسكيون لانجاز مهمات الثورة القادمة : الديمقراطية والوطنية والاشتراكية، هي الطبقة العاملة والفلاحين الفقراء والبورجوازية الصغيرة المدينية والمهمّشون، فهم بذلك يزيحون الفلاحين الصغار والمتوسطين من المشاركة في الثورة، بينما هم معنيون بالمهمات الديمقراطية والوطنية، إن خطيئة «أصدقائنا» تكمن في تجاهلهم للفوارق الاساسية في عصرنا بين الثورة الديمقراطية البورجوازية وبين الثورة الاشتراكية البروليتارية وهم القائلون :

«**إن التجربة التاريخية قد أثبتت أن تونس شأنها شأن البلدان المتخلفة لم تعرف ثورة بورجوازية بحكم السيطرة الامبريالية بمرحلتيها الاستعمار المباشر والاستعمار الجديد فبقيت المهام الديمقراطية مطروحة بدون حل** وبتعاظم الدور الرجعي للبورجوازية المحلية وتأكده الحقت هذه المهام بالطبقة العاملة وبمشروعها الجذري التاريخي **وأصبحت مهام انتقالية آنية تحل عرضا في إطار الثورة الاشتراكية بقيادة البروليتاريا ضمن استراتيجية الثورة الدائمة**» (90)، وعلى الرغم من اعترافهم بأن «المهام الديمقراطية بقيت بدون حل»، فإنهم ألحقوها «بالثورة الاشتراكية». إننا نقر بالتداخل بين مهام الثورة الديمقراطية ومهامها

---

(89) الشرارة عدد 1 ـ ص 14 ـ 15

(90) الشرارة عدد 2 ـ ص 15

الاشتراكية لكننا في نفس الوقت نفرق بين هذه وتلك لان كل واحدة منها تحدد طبيعة المرحلة التاريخية التي تمر بها الثورة، وتنظم طبقات معينة لتحقيق الاساس من الاهداف المرسومة لتلك المرحلة.

لقد أوضح لينين ذلك منذ 1905 في مؤلفه «خطتا الاشتراكية الديمقراطية» حين قال :

«**ينبغي على البروليتاريا أن تقوم بالثورة الديمقراطية إلى النهاية بأن تضم إليها جماهير الفلاحين لسحق مقاومة الاوتوقراطية بالقوة وشلّ تذبذب البورجوازية، وينبغي على البروليتاريا أن تقوم بالثورة الاشتراكية بأن تضم إليها جماهير العناصر نصف البروليتارية من السكان لسحق مقاومة البورجوازية بالقوة وشل تذبذب الفلاحين والبورجوازية الصغيرة**» [91].

يقر «الشيوعيون الثوريون» أن الثورة الديمقراطية الوطنية لم تتحقق وأصبحت بالتالي مهامها الاساسية ملقاة على عاتق الطبقة العاملة باعتبارها الطبقة الأكثر تقدما والطبقة الوحيدة الثورية حتى النهاية، لكنهم لم يفهموا أن المهمات التي تميز المرحلة الأولى من الثورة لا تهم الطبقة العاملة وجمهور أنصاف البروليتاريين، بل تهم الشعب بأسره وبصفة أساسية جمهور الفلاحين.

من واجب الطبقة العاملة في هذه المرحلة أن لا تكتفي بالمشاركة في الثورة الديمقراطية الوطنية بل ينبغي عليها أن تضطلع فيها بالدور القيادي، وتحملها لهذا الدور لا يعني تحويل المهمات الديمقراطية والوطنية إلى مهمات اشتراكية أو اعطاءها طابعا اشتراكيا، أو أن تعوض بقية الطبقات الشعبية في الثورة وفي التمتع بمنجزاتها، ومع ذلك ينبغي عليها أن لا تحصر نفسها في الأفق البورجوازي لهذه المرحلة بل عليها أن توسع اطار الصراع الطبقي ومحاوره حتى لا يقتصر على المهمات البورجوازية وإنما ليشمل أيضا المهمات الاشتراكية.

إن الطبقة العاملة كما أكد على ذلك لينين مرارا لا يمكنها الاحراز على النصر بمفردها رغم انها الطبقة الوحيدة الثورية حتى النهاية، فهي في حاجة إلى عقد تحالف متين مع جمهور الفلاحين وتحويلهم من احتياطي للبورجوازية إلى قوة محركة للثورة في مرحلتها الأولى بقيادة البروليتاريا.

لقد أكدت التجربة الروسية والالبانية وبقية التجارب الثورية في العالم أن الطبقة التي تتوصل إلى كسب الفلاحين إلى جانبها يكون النصر حليفها بالضرورة، وأن كل استصغار

(91) المختارات المجلد 1 الجزء 2، دار التقدم موسكو، لينين - ص 105

لدورهم يحرم الطبقة العاملة من طاقات ثورية كان بالامكان توظيفها لانجاز المهام الديمقراطية والوطنية في أساسها بصورة جذرية، وبالتالي تعبيد الطريق للمرور إلى الاشتراكية.

إن الامر لا يتوقف عند التخلي عن طاقات ثورية للفلاحين بل يتحول التحقير من دورهم أو تجاهله إلى عائق أمام احراز النصر وذلك لسببين :

أولا : هو أن جيش الثورة يبقى محدودا بحكم غياب جزء هام من الشعب عن المعركة إلى جانب الطبقة العاملة،

والثاني : يتمثل في أن الجزء الهام من الشعب (الفلاحين) يبقى احتياطيا للبورجوازية. وترك جمهور الفلاحين تحت تأثير الاحزاب الاصلاحية والفاشية والبورجوازية بصفة عامة، هو في النظرية والممارسة مدّ يد العون للبورجوازية ضد الطبقة العاملة ووقوف صريح ضد انتصار الثورة ويعدّ مجرّد لغو التفكير في انجاز المهمات الديمقراطية والوطنية ـ حتى وإن كان بصورة عرضية ـ باستثناء الجزء الرئيسي من المعنيين بها، ومن العبث التفكير في المرور إلى الاشتراكية بدون تحقيق أهداف المرحلة الاولى.

فقد أكد سير الثورات الروسية الثلاث الاستنتاجات العملية التالية :

* كانت الرأسمالية هي نمط الانتاج المهيمن منذ أواخر القرن الماضي، ومع ذلك حدد حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي شعاره الاستراتيجي المركزي فيما بين 1905 ـ فيفري 1917 (مرحلة الثورة الديمقراطية البورجوازية) في الاطاحة بالقيصر وبالملاكين العقاريين الكبار، وتركيز السلطة الثورية للعمال والفلاحين.

* وفي المرحلة الثانية من الثورة (فيفري ـ أكتوبر 1917) أي مرحلة الثورة الاشتراكية كان الشعار الاستراتيجي للحزب هو الاطاحة بسلطة البورجوازية وتركيز دكتاتورية البروليتاريا بالتحالف مع الفلاحين الفقراء.

* وأكد سير الثورة الروسية أن المرور من المرحلة الاولى إلى الثانية لا يشترط انجاز كل المهام الديمقراطية بل الأساسي منها الذي يعد امتدادا مباشرا لعملية الاطاحة بالطبقات القديمة والبقية تتكفل بانجازها دكتاتورية البروليتاريا، إذ لا يمكن الفراغ من المهمات الديمقراطية البورجوازية دفعة واحدة بل يتواصل انجازها طوال فترة كاملة تتشابك فيها مع المرحلة الموالية.

ففي روسيا مثلا وبعد ثورة أكتوبر تواصل تحقيق المهمات الديمقراطية البورجوازية إلى 1919 في منطقة الفولغا والاورال، وإلى 1920 في أوكرانيا، وهو ما يؤكد أن الثورة البورجوازية لا تسير حتى نهايتها إلا عندما تتوفر الامكانية لتحويلها إلى ثورة اشتراكية :

* إنه لمن الاهمية بمكان وضع الفرق الجوهري بين الشعار الاستراتيجي للمرحلة الاولى من الثورة (الديمقراطية البورجوازية) وبين المرحلة الثانية (الاشتراكية)، لكي تتمكن من معرفة الطبقات والفئات الشعبية الواجب كسبها للثورة وحشدها في سبيل تحقيق الاهداف المرسومة لها،

* ان الطبقة العاملة تتحالف في الاولى مع جمهور الفلاحين وفي الثانية مع الفلاحين الفقراء وتركز في الاولى الدكتاتورية الثورية للعمال والفلاحين، وفي الثانية الدكتاتورية الاشتراكية للعمال والفلاحين الفقراء، كتب لينين في أواخر أوت 1917 مقالا تحت عنوان «فلاحين وعمال» قال فيه :

«ان البروليتاريا والفلاحين هما وحدهما القادران على قلب الملكية : هكذا كان التعريف الجوهري للمرحلة لسياستنا الطبقية وهذا التعريف قويم، واكده مرة اخرى في فيفري مارس 1917، والبروليتاريا قائد الفلاحين الفقراء بإمكانها وحدها انهاء الحرب من اجل سلم ديمقراطية وتضميد الجراح والقيام بالخطوة الاولى التي اصبحت ضرورية وملحة نحو الاشتراكية، هذا هو تعريف سياستنا الطبقية اليوم» [92]

وكتب في 1918 يقول :

«نعم ان ثورتنا بورجوازية طالما نحن نسير مع عامة الفلاحين، ونحن على وعي تام بذلك، وكنا كررنا القول مئات وآلاف المرات منذ 1905، اننا لم نحاول مطلقا حرق هذه المرحلة الضرورية في السيرورة التاريخية ولا بإنهائها بواسطة المراسيم... لكن في 1917 ومنذ شهر افريل، قبل ثورة اكتوبر ومسكنا للسلطة بكثير، كنا نقول بكل صراحة ونوضح للشعب أن الثورة حاليا لا يجب أن تتوقف عند هذا الحد لأن البلاد قطعت مسافة لا بأس بها، والرأسمالية تقدمت اشواطا، والدمار الذي بلغ مقاييس غريبة يفرض (أحببنا أم كرهنا) المضي قدما نحو الاشتراكية، وبدون ذلك من غير الممكن المضي قدما وانقاذ البلاد المنهوكة بالحرب وتفريج كربة الشغالين المستغلين (بفتح العين) لقد جرت الأمور تماما كما قلنا، أكد سير الثورة صحة تفكيرنا، في أول الامر مع كل الفلاحين ضد الملكية والملاكين العقاريين الكبار وضد الاقطاعية (وتبقى الثورة بذلك بورجوازية، ديمقراطية بورجوازية)، ثم مع الفلاحين الفقراء مع أنصاف البروليتاريين مع كل المستغلين (بفتح الغين) ضد الرأسمالية بما في ذلك الفلاحين الاغنياء والكولاك والمضاربين وبذلك تصبح الثورة اشتراكية» [93].

---

(92) مسائل اللينينية، ستالين - ص 236

(93) دكتاتورية البروليتاريا والمرتد كاوتسكي لينين

إن ادعاء «الشيوعيين الثوريين» القائل بأن لينين تخلى في أفريل 1917 عن الصبغة الغامضة للسلطة : الدكتاتورية الثورية للعمال والفلاحين (كذا !!) وعوضها بمفهوم أدق وأصح (كذا !!) ألا وهو دكتاتورية البروليتارية، خاطىء من أساسه ودليل قاطع على أنهم لم يفهموا من اللينينية شيئا وبالاحرى يتعمّدون تحريفها وتزويرها.

رفع لينين شعار الدكتاتورية الثورية للعمال والفلاحين إلى حدود فيفري - مارس 1917 لكونه يتناسب والمرحلة البورجوازية من الثورة، ومنذ أفريل 1917 نادى لينين بضرورة المرور إلى المرحلة الموالية مرحلة الثورة الاشتراكية وبالتالي إلى دكتاتورية البروليتاريا وسائر المستغلين (بفتح الغين)، أين يكمن الغموض إذن ؟

انه موجود في النظرية التروتسكية التي لا تعير وزنا لقيادة البروليتاريا الثورة البورجوازية وتركوا بالتالي الفلاحين تحت تأثير وقيادة البورجوازية وتبحث عن المرور مباشرة إلى الاشتراكية بالاعتماد فقط على الدور القيادي للطبقة العاملة، وفيما يتعلق بالقوى المحركة للثورة في بلادنا فقد كنا حللنا أن المهام التي تفرضها المرحلة هي مهام ديمقراطية ووطنية ملقاة على عاتق الطبقة العاملة غير أنه لا ينبغي عليها أن نتجاهل المعنيين بها

أي جمهور الفلاحين والبورجوازية الصغيرة والمتوسطة المدينة، ويمثل التحالف بين العمال والفلاحين العمود الفقري لهذه الوحدة الشعبية العريضة في حين يرى التروتسكيون أن القوى المحركة للثورة :

«الطبقة العاملة. . . القادرة على قيادة تحالف شعبي واسع وتحقيق الانتصار النهائي ان هذا التحالف الشعبي الذي تقوده الطبقة العاملة سيكون مؤلفا من الفلاحين الفقراء وخاصة انصاف البروليتاريين منهم ومن البورجوازية الصغيرة المدينية التي تزيدها هيمنة البورجوازية سحقا وخرابا ومن الفئات المهمشة» [94].

وبهذه الصورة ازاح التروتسكيون من صفوف الثورة الفلاحين الصغار والمتوسطين والبورجوازية المتوسطة وتركوهم احتياطيا للبورجوازية العميلة وللامبريالية، وهم بذلك يقفون كرجال مطافىء الثورة وكمخربين لصفوفها ومدافعين بشكل مقنع على ديمومة النظام الرأسمالي.

ان البورجوازية المتوسطة لا تمثل طبقة بحد ذاتها بل شريحة من شرائح البورجوازية التي تضر الامبريالية واحتكار البورجوازية الكبيرة للسوق بمصالحها، لذلك فهي معنية بالثورة الديمقراطية الوطنية ونحن لا ندعو الى منحها قيادتها باعتبار طبيعة المهام، او الى

(94) الشرارة عدد 1 - ص 15

تقاسم القيادة معها وبالتالي السلطة، ولا داعي لالصاقنا بالماوية وبالسلطة الرباعية للرد علينا، انها ليست مرجعنا النظري، ولا داعي ايضا لبذل جهد في تأويل مقولاتنا النظرية والسياسية.

3 - «الشيوعيون الثوريون» والتحريفية الحديثة :

لم نتمكن الى اليوم من الاطلاع على موقف تروتسكيينا الخاص من ظهور التحريفية في الاتحاد السوفياتي والتحولات الجوهرية التي ادخلتها على دكتاتورية البروليتاريا فحولتها الى دكتاتورية بورجوازية ولم نعثر الا على بعض الاشارات العريضة هنا وهناك او الفقرات الطائشة، الأمر الذي يجعلنا نتعرض الى نقدهم بشيء من التحفظ رغم اننا وجدنا مواقفهم مطابقة مع نظرائهم اللبنانيين، لذلك فإننا سوف نستعين بها في اتجاه رسم معالم رد عام في انتظار تطور الصراع وتجلي مواقفهم، يمكننا القول ان موقف التروتسكيين التونسيين يرتكز على :

1 ـ انكار التحولات الاشتراكية التي جرت في الاتحاد السوفياتي ايام لينين والتي واصل تعميقها وتثبيتها ستالين من بعده واعتبار ان التوجه نحو تعزيز دكتاتورية البروليتاريا ومركزة الاقتصاد الاشتراكي بين ايدي الدولة، ومشركة الفلاحة والتصدي الحازم لمقاومة الطبقات القديمة وعلى الاخص الكولاك، وتنظيف الحزب وجهاز الدولة من الانتهازيين والمخربين يعد «انحطاطا بيروقراطيا» و«تحريفية ستالينية». وبمعنى آخر ان السلطة قد استولت عليها بعد البيروقراطية وحولت دكتاتورية العمال الى دكتاتورية بيروقراطية عليهم.

2 ـ انكار التحولات التي جدت بالاتحاد السوفياتي اثر موت ستالين واستيلاء التحريفيين على اعلى المراكز في السلطة، والتي جعلته ينتقل من دولة اشتراكية الى دولة رأسمالية امبريالية، ومن دولة مناصرة للشعوب الى دولة معادية لها تتصارع مع الامبريالية العالمية على الهيمنة على العالم ومن مركز الثورة العالمية الى احد اعظم اقطاب الرجعية العالمية. ومن ثمة فانهم لا يعتبرون الفرق الجوهري الذي يفصل بين عهد لينين وستالين في الاتحاد السوفياتي وبين مرحلة استيلاء التحريفية الخرتشوفية على السلطة، ان الامر ينحصر لديهم في وجود بيروقراطية عمالية استولت على جهاز الدولة، وبالتالي فإنه يكفي ازاحتها وتعويضها بقيادة «شيوعية» (اي تروتسكية) حتى تستقيم الامور وتنسجم البنية الفوقية مجسدة في الدولة مع البنية التحتية ذات الطابع الاشتراكي.

3 ـ انكار بناء الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي لاعتبارهم ان الاشتراكية تمثل المرحلة الاولى من الشيوعية التي تنفي الطبقات، وهي مرحلة لا يمكن تحقيقها في بلد واحد كانت فيه الثورة مظفرة.

4 ـ انكار ان دكتاتورية البروليتاريا تعني بالضرورة تحالفا متينا بين العمال والفلاحين تحت قيادة الاولين، وهذا الانقسام الطبقي لا يؤدي كما في المجتمعات الطبقية السابقة الى تناحر بين الطبقتين بل الى وحدة وتعاون بينهما لتقارب مصالحهما وتوافقها.

5 ـ انكار امكانية عودة الرأسمالية في بلد اشتراكي. وهذه نظرة مثالية ميتافيزيقية منافية لقوانين الصراع الطبقي بين البروليتاريا والبورجوازية وبين الطريق الاشتراكية والطريق الرأسمالية. فالردة ممكنة دائما في اي بلد اشتراكي نتيجة تواصل بعض العناصر من المجتمع القديم ونتيجة الحصار المستمر للامبريالية من الخارج.

6 ـ عزل البنية الفوقية عن البنية التحتية، فالتروتسكيون يتصورون انه بالامكان ان تكون الدولة بيد بيروقراطية معادية للاشتراكية وان تظل القاعدة المادية للمجتمع اشتراكية. وهذا يطرح رأسا مفهوم الدولة والثورة لدى هؤلاء «الثوريين» حتى النهاية.

وبهذه الصورة يتنكرون للطابع الطبقي للدولة وكأن «البيروقراطية في الاتحاد السوفياتي وسائر الدول العمالية«المشوهة بيروقراطيا» ليست طبقة اجتماعية تحتكر الثروة ووسائل الانتاج، وانما مجرد «فئة اجتماعية» لا تملك سوى امتيازات تحصلت عليها من احتكارها للسلطة السياسية»لذلك ظل «الشيوعيون الثوريون» عاجزين عن فهم حقيقة البنية الاقتصادية والاجتماعية وطبيعة الدولة في الاتحاد السوفياتي وفي سائر البلدان التحريفية، ومن ثمة عن تحديد مهام الثورة في هذه البلدان. فوجدوا انفسهم الى جانب التحريفية الخروتشوفية والعجلة الخامسة في الدفاع عنها.

وخلاصة القول فإن التروتسكية والتروتسكيين ظلوا على الدوام في الصف المعادي للشيوعية وللماركسية اللينينية ولعبوا دور المخرب لصفوف الثورة سواء كان نظريا او سياسيا او عمليا ووقفوا الى جانب الايديولوجيا البورجوازية والى جانب التحريفية الخروتشوفية ضد الايديولوجيا البروليتارية. وما يقوم به تروتسكيونا في تونس من تخريب وبث للبلبلة وتشكيك في الاشتراكية ومن سعي الى حجب الاهداف الثورية امام الطبقة العاملة والشعب الكادح، يؤكد لنا صحة الاستنتاجات التي خرج بها لينين وستالين ومن ورائهما الاممية الثالثة.

الفهرس

طبع المطابع الموحدة
المنطقة الصناعية ــ الشرقية ــ تونس

تعتقد فئة من البلاشفة أن التروتسكية جزء من الشيوعية، إلا أنها والحق يقال مخطىء وتقوم بحماقات عديدة وأحيانا معادية للسوفيات أيضا. ولكنها مع ذلك تمثل جزءا من الشيوعية. وهذا يعني نوعا من الليبرالية حيال التروتسكيين وأصحاب الفكر التروتسكي. ومن البديهي أن مثل هذا الرأي حول التروتسكية خاطىء تمام الخطأ ومضرّ، إن التروتسكية في الواقع ومنذ زمن بعيد توقفت على أن تكون جزءا من الشيوعية، وهي في الواقع فريق طلائعي للبورجوازية المعادية للثورة، التي تناضل ضد الشيوعية وضد سلطة السوفيات وبناء الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي. من أعطى للبورجوازية المعادية للثورة سلاحا روحانيا وإيديولوجيا ضد البلشفية في قالب أطروحات حول استحالة بناء الاشتراكية التام في بلدنا وحول التفسّخ الحتمي للبلاشفة... هذا السلاح أعطته التروتسكية وليس من قبيل الصدفة أن تستنجد كل التجمعات المعادية للسوفيات، في الاتحاد السوفياتي، في محاولاتها لتبرير صراعها ضد سلطة السوفيات بالاطروحة التروتسكية المعروفة جيدا حول استحالة البناء الكامل للاشتراكية في بلدنا وحول التفسّخ الحتمي لسلطة السوفيات والعودة المحتملة للرأسمالية.

ستالين

Mouyn